السهول

سهول البحر الأحمر

ينحصر السهل الساحلي (تهامة) بين جبال الحجاز شرقاً، وساحل البحر الأحمر غرباً. ويمتد من شمال الشمال الغربي إلى جنوب الجنوب الغربي للمملكة مسايراً لامتداد البحر الأحمر. وقد أثرت عدة مؤثرات بنيوية (جيولوجية) وأخرى مناخية في ضيق أو اتساع هذا السهل. ففي الشمال في خليج العقبة، تشرف صخور القاعدة على البحر مباشرة باستثناء المنطقة المحيطة بمدينة حقل. وإلى الجنوب من رأس الشيخ حميد، يزيد اتساع السهل الساحلي إلى مدينة المُويلِح ليصل إلى بضعة كيلومترات. ثم تشرف صخور القاعدة مرة أخرى على البحر مباشرة لمسافة طويلة، تمتد من شمال مدينة ضبا إلى

ساحل مدينة حقل

تهامة عسير

شمال مدينة الوجه، فيما عدا حوض وادي أَظْلَم المفتوح تجاه البحر إلى الجنوب من ضِبا مباشرة. ويبدأ السهل الساحلي بالاتساع من جنوب مدينة الوجه تدريجياً ليصل إلى أقصى اتساع له في تهامة عسير، حيث يتراوح ما بين ٣٥ و٤٥كم. ويقطع اتصال السهل بين الوجه وجازان في الجنوب، بروز صخور القاعدة وتقدمها نحو البحر في كل من مدينة أم لج وشمال مدينة ينبع، إضافة إلى منطقة البرك البركانية التي تفصل بين تهامة عسير وتهامة الشام. ويتقطع السهل الساحلي بعدد كبير من الأودية المنحدرة من السلاسل الجبلية المجاورة في اتجاه البحر الأحمر. ويختلف اتساع أحواض هذه الأودية بين الشمال والجنوب. ففي الجنوب، حيث تنحدر هذه الأودية من جبال الحجاز (السروات) المرتفعة الأكثر مطراً، فإن معظم الأودية قد طورت أحواض تصريفها نتيجة لذلك. وهي تجري لبضعة أشهر سنوياً عقب سقوط الأمطار. أما الأودية الواقعة إلى الشمال من جدة، وإن كان بعضها يتسم بحوض تصريف واسع كما هو الحال في وادي السِّر ووادي أَظْلم والحَمْض، إلا أن قلة الأمطار في هذا القسم من الساحل أعطت أحواض الأودية صبغة شكلية مختلفة، ونادراً ما تصل سيول هذه الأودية إلى مصباتها.

وليست الخصائص الشكلية للسهل الساحلي بأقل تنوعاً من البنية بين

ساحل البرك، ويلاحظ بروز صخور القاعدة

القسمين الشمالي والجنوبي. ففي حين يتشابه المظهر الشكلي في القسم الجنوبي حيث تسود السطوح المغطاة بفرشات حصوية رقيقة تتحول إلى سباخ ساحلية وأخوار قرب الساحل؛ وإلى مراوح غرينية أو مخاريط فتاتية نحو الشرق عند مخارج الأودية من السلاسل الجبلية، إضافة إلى حقول من الكثبان الرملية، نجد أن القسم الشمالي أكثر تنوعاً بأشكاله الأرضية التي تتمثل في مراوح غرينية بلايستوسينية، ومدرجات بحرية ونهرية أكثر وضوحاً وانتشاراً. فالمراوح الغرينية أشكال تضريسية تنشأ عند مخارج الأودية الجبلية إلى المناطق السهلية، وتأخذ شكل المراوح وهي مكونة من الغرين والحصى والرمال، وتبدأ من الشرق وتتلاقى مع المدرجات البحرية في الغرب، وبعضها يلتقي مع خط الساحل مباشرة، إلا أن هذه المراوح، المنتمية إلى مراحل الزمن الرابع المختلفة، كثيراً ما تقطعها الأودية الرئيسية منها والفرعية وتتعمق فيها مما يجعلها

ميناء أم لج على البحر الأحمر

تبدو أحياناً على شكل أشرطة مرتفعة طولية متعامدة على خط الساحل، فاصلة بين الأودية المتجهة نحو البحر. ويظهر ذلك جلياً ابتداء من جنوب أم لج جنوباً إلى قرب الوجه شمالاً. وعوضاً عن السباخ والأخوار في القسم الجنوبي هناك الكثير من الشروم التي تقطع هذا القسم من الساحل.

ولعل من أهم الأشكال المرتبطة بتهامة والسهل الساحلي، السباخ والشروم والأخوار والأطر والشعاب المرجانية. وهي أشكال مرتبطة بخط الساحل الحالي للبحر الأحمر، بالإضافة إلى المدرجات البحرية النهرية وهي أشكال نجمت عن تغيرات في مستوى سطح البحر الأحمر خلال العصور والفترات السابقة لكل من البلايوسين والبلايستوسين.

السهول في هضبة نجد السفلى

تنتشر السهول في وسط الجزيرة على مساحات واسعة من الأرض، فهي رياض غناء، ومراع للماشية والإبل، وهي مزارع للنخيل والقمح والذرة والبرسيم.

ومن أخصب المناطق في وسط المملكة منطقة القصيم، التي تنتشر حول مدنها وقراها المزارع التي تنتج أجود أنواع التمور ويزرع إلى جانبها القمح والذرة والشعير والبرسيم والخضار والفواكه. وقد ازدهرت الزراعة في هذه المنطقة نتيجة لتوفر المياه السطحية والعميقة بها.

ومنها إقليم الخرج، بسهلي السيح والسهباء، وأرضه من أجود الأراضي للزراعة. فسهل السهباء روضة من أكبر رياض اليمامة، وهي مدفع سيول وادي حنيفة. يروى أن امرأة غرست فسيلة نخل على ضفة وادي حنيفة، ولما كبرت جاءها وادي حنيفة بهديره واقتلعها من جذورها فما وجدت صاحبتها من حيلة تبرد به حرارتها إلا أن قالت «موعدك السهباء ياوادي حنيفه». أما السيح فتنتشر به حالياً المزارع النموذجية والمشروعات العملاقة لإنتاج الألبان والدواجن والأعلاف وغيرها من الخضر والفواكه إضافة إلى التمور (ابن خميس ١٤٠٠، ج٢: ٣٩).

ومنها سهل الحمادة الذي يمتد من المزاحمية جنوباً حتى ما بعد الغاط شمالاً. وهو سهب ممتد بتكوين واحد وصفة واحدة. شرقه جبال طويق، وغربه رمال عريق البلدان ونفود قنيفذة. وتنتشر في هذا السهل الكثير من المزارع التي تنتج الخضروات والبرسيم والقمح، إضافة إلى التمور (ابن خميس ١٤٠٠، ج١: ٣٤٢).

ومنها سهول وادي الدواسر، وهي من أخصب الأراضي وأكثرها مياهاً وأصلحها إنتاجاً وأطيبها مرعى وأوسعها رقعة. فحدودها الشرقية الدهناء، ومن الشمال الشرقي تمتد حتى تأخذ قسماً من العرمة، ومن الخرج تذهب مغربة مارة ببرك والدبيل فالسوادة إلى الهضب، هضب آل زايد، ومن الغرب مدافع وادي بيشة وتثليث، ومن الجنوب تستدخل جزءاً من الربع الخالي حتى نجران (ابن خميس ١٤٠٠، ج١: ٤٤٧).

وبالإضافة إلى ما سبق هناك سهول أخرى تكتنف مدن وقرى وسط المملكة، كسهول سدير والسر والحوطة والحريق والأفلاج وغيرها.

سهول الخليج العربي

الخليج العربي ضحل شبه مغلق، تحده بيئة جافة من كل جوانبه. وهو يمتد من شمال الشمال الغربي نحو جنوب الجنوب الشرقي بين دائرتي العرض ٣٠° ٣٠' و ٢٥° ٠٠' شمالاً، وخطي الطول ٤٨° ٠٠' و ٥٥° ٠٠' شرقاً. ويبلغ طول الخليج العربي حوالي ١٠٠٠كم من مصب شط العرب حتى مضيق هرمز، يتراوح عرضه بين ٢٠٠ و٣٠٠كم، ومتوسط عمقه ٣٥م، وقد يصل العمق في بعض الأحواض الواقعة في الشمال الشرقي إلى ١٠٠م. ويصل إجمالي المناطق الضحلة (أقل من ٥م) حوالي ١٨٪ من المساحة الإجمالية؛ منها ٧٤٪ مناطق داخلية والباقي يتكون من الضفاف الساحلية ومناطق الشعاب المرجانية. وتشكل الأعماق بين ٥-١٠م ٨,٥٪ من مساحة الخليج الكلية، بينما تشغل الأعماق أكثر من عشرة أمتار المساحة المتبقية، ومساحته الإجمالية ٢٢٦٠٠٠كم٢.

تشكَّل الخليج العربي عندما انفصلت شبه الجزيرة العربية عن القارة الأفريقية، حيث ضغطت صفيحة شبه الجزيرة العربية في جزئها الشرقي على الكتلة الإيرانية ودخلت تحتها في المنطقة التي تقع الآن غرب جبال زاجروس. وقد وصل الخليج العربي إلى مساحته الحالية قبل حوالي ٥٠٠٠ سنة، ولكنه خلال فترات الجليد البلايستوسينية كاد يتحول إلى شبه مستنقع. وتتراكم الإرسابات التي يجلبها نهرا دَجْلَة والفُرَات عبر شط العرب في شمال الخليج لحوالي ٣٠م وطول نحو ١٠٠كم. وفي جنوب الخليج العربي تحدد جبال عُمَان عرض الخليج فهو لا يتعدى ٥٥كم عند مضيق هرمز قبل أن يتصل بخليج عُمَان.

الساحل الجنوبي للخليج العربي

لم يكن للخليج العربي وجود بصورته الحالية منذ بداية الزمن الأول وحتى قرب نهاية الزمن الثالث. وكانت البحار القديمة تشغل المنطقة التي يشغلها الخليج العربي وجبال زاجروس وما حولهما، ولم تكن أجزاء قشرة الأرض اليابسة قد استقرت في مواقعها بعد في الأماكن التي نعرفها بها اليوم. والخليج العربي حوض باطني (تكتوني) اتخذ شكله العام خلال أواخر البلايوسين والبلايستوسين، وهو الآن بَحْر ضحل يمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي ويتصل ببحر العرب والمحيط الهندي عبر مضيق هرمز وخليج عُمَان.

وبشكل عام يقع الخليج العربي بين جبال زاجروس الالتوائية الألبية التي تمتد من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي، والدرع العربي الأركي. وقد انبثقت جبال زاجروس من بَحْر تِثِس ذي الطيَّة المقعرة الهائلة، وقد انضغطت الرواسب في هذا البحر الجيولوجي نتيجة حصرها بين الصفيحة الإيرانية المقاومة نسبياً وصفيحة شبه الجزيرة العربية. وتمثل جبال زاجروس حزاماً جبلياً يتصف بالالتواء والتصدع لصخور الزمن الأول والثاني والحديث. ويقطع رتابة الساحل العربي المنخفض للخليج العربي عند نهايته الجنوبية جبال عُمَان، التي نشأت

من الحركة الالتوائية الألبية التي بدأت في العصر الكريتاسي الأدنى من الزمن الثاني واكتملت في المايوسين والبلايستوسين.

ويمتد السهل الساحلي للخليج العربي من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي على شكل حزام يتراوح عرضه من ٥٠ إلى ١٠٠كم، بين هضبة الصُّمَّان من الغرب والخليج العربي من الشرق. ويمتد بمحاذاة الخليج العربي كله، وينحصر امتداده في المملكة بين أم قصبة شمال الخَفْجِي، ودَوْحة دُوَيْهِن جنوب خَوْر العُدَيْد. والمنطقة بشكل عام سهول متطامنة ترتفع تدريجياً كلما توغل الإنسان نحو الداخل بمعدل متر واحد في الكيلو متر، حتى تصل إلى ارتفاع حوالي ٣٠٠م بمحاذاة حافة هضبة الصُّمَّان. وفي الحقيقة ليس في هذا السهل الساحلي ما يميزه من معالم تضريسية بارزة، فهو سهل منبسط تغطيه الرمال في أجزاء كبيرة، وما سلم من الرمل تحول إلى مسطحات ملحية من السباخ.

وعلى طول هذا السهل الساحلي يتدرج الانتقال من السهل الساحلي إلى هضبة الصُّمَّان بحيث لا يشعر به العابر لهذه المنطقة. فلا حدود واضحة، ما عدا في بعض المناطق عند الهُفُوف حيث ترتفع حافة هضبة الصُّمَّان عن السهل لأكثر من ١٠٠م. ومعظم تضاريس هذا السهل منخفضة بشكل عام ما عدا بعض

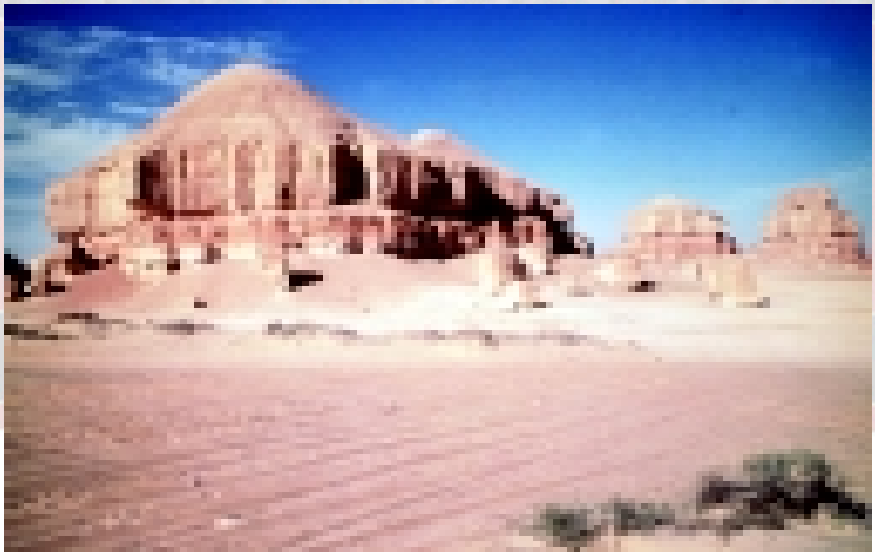

تلال شاهدة قرب الهفوف (جبل النهيدين)

فرائد التلال والشواهد في مناطق متفرقة، خاصة في منطقة الظَّهران وما بين العُقَيْر وسَلْوى.

ويعد السهل الساحلي للخليج العربي جزءاً من الرصيف الداخلي الذي تتكون صخوره من الصخور التابعة للزمن الثالث وما تلاه من عصور أخرى. فتحتوي الصخور السطحية لهذا الجزء من المملكة على تكوينات من الصخور الرسوبية المندمجة التي تعود لعصور تمتد من الباليوسين لأواسط الأيوسين، ومن المايوسين للبلايوسين. وهذه الصخور السطحية المنكشفة تعود لتكوينات مختلفة هي تكوين أم رَضَمَة، الذي ينكشف في منطقة صغيرة شمال الظَّهران بحوالي كيلو متر واحد، وتكوين أم الرُّوس، الذي يظهر على السطح في الجزء الأوسط لقبة الدَّمَّام حيث تتمثل الصخور أحسن تمثيل في جبل أم الرُّوس، وتكوين الدَّمَّام، الذي ينكشف حول محيط قبة الدَّمَّام التي أخذ منها الاسم، وتكوين الهَيْدَرُوك الذي ينكشف فوق منطقة كبيرة على طول ساحل الخليج العربي من شمال الحدود السعودية حتى دائرة العرض ٣٠ َ ٢٦ ْ شمالاً، ثم في بقع متناثرة جنوب بُقَيْق حتى دائرة العرض ٥٢ َ ٢٥ ْ شمالاً، وتكوين اللِّدَام، قرب الساحل في بقع متناثرة من دائرة العرض ٣٠ َ ٢٧ ْ شمالاً

ساحل العُقير على الخليج العربي

نحو الجنوب الشرقي حتى دولة قَطَر وما وراء ذلك، ويمثِّل هذا التكوين جبل اللِّدَام. وترتفع فوق هذا السهل الساحلي عدة محاور لطيَّات محدبة فوق المستوى العام للرصيف الداخلي، وفي بعض هذه الطيَّات ثروة المملكة من البترول، مثل الغَوَّار وبُقَيْق والقَطِيف.

ويخلو هذا السهل الساحلي من الأودية بسبب هضبة الصُّمَّان إلى الغرب منه؛ وهي هضبة تشيع فيها ظاهرة الكارستية في معظم أجزائها مما حال دون إيجاد مجار طويلة لأي أودية كما سبق ذكره. وهكذا أدى ذلك إلى قلة مراكز العمران البشري في السهل الساحلي، خاصة المناطق التي تقع شمال الجُبَيْل. أما في جنوب هذه المَدينَة فأدَّى تفجر ينابيع المياه الجوفية في الهُفُوف والقَطِيف إلى تكدس السكان الذين يشتغلون بالزراعة بهما. ويغطى السهل الساحلي من الجُبَيْل شمالاً حتى جون الكويت بفرشات رملية رقيقة تسمى الدكاكة، أو الدكداك. ورد في لسان العرب «الدكدك والدكداك من الرمل ما تكبس واستوى، وقيل هو بطن من الأرض مستو. وقال الأصمعي: الدكداك من الرمل ما التبد بعضه على بعض ولم يرتفع كثيراً». والوصف الذي أشارت إليه هذه النصوص ينطبق على ما يعرف اليوم بالدِّكاك ومفردها دكاكة، فقد حذفت الدال الثانية للتخفيف. وهي الرمال المستقرة المنبسطة على وجه الأرض، وتكثر بها عادة النباتات والشجيرات التي تعمل على استقرارها، وهي صالحة لسير المركبات فوقها لتلبد الرمل وتماسكه» (الغنيم ١٩٨١: ٧٥-٧٦). وأما جنوب مدينة الجُبَيْل فيبدأ تأثير امتداد رمال الجَافُورَة الشمالي، وهي رمال متحركة تسبب كثيراً من المشكلات للمزارع والمنشآت.

وتقع واحة الأحسَاء في المنطقة الشرقية على بعد حوالي ٧٠كم من ساحل الخليج العربي عند ميناء العُقَيْر، ويتراوح ارتفاع منطقة الواحة ما بين ١٣٠ و١٦٠م فوق مستوى سطح البحر. وينحدر السهل نحو الخليج العربي انحداراً هيناً وتغطيه رمال الجَافُورَة، وإلى الغرب تقع حافة شَدْقَم والغَوَّار التي ترتفع إلى ٢٩٠م فوق مستوى سطح البحر. ويعود وجود واحة الأحسَاء الزراعية إلى العيون الكارستية التي تنبع من حافة هضبة الصُّمَّان الشرقية. ولا يختلف تركيب قشرتها الأرضية عن هضبة شَدْقَم.

السهول الحصوية

من أهم السهول الحصوية سهول الدِّبْدِبَة، والسَّهْبَاء ووادي الدَّوَاسِر. فقد أدى تدفق وادي الرُّمَّة أثناء الفترات المطيرة في الزمن الرابع إلى أن يصل بمجراه إلى وادي دَجْلَة عند الخليج العربي. وبعد بدء فترات الجفاف ونشاط التعرية الريحية ردمت رمال نفود الثُّوَيْرَات والدَّهْنَاء مجرى وادي الرُّمَّة الواقع بين شمال قرية البندريَّة وابتداء وادي البَاطِن الذي يمثل الامتداد السابق لوادي الرُّمَّة نحو الخليج العربي، ما عدا جزءاً قصيراً من المجرى يسمَّى وادي الأجردي.

الدبدبة. سهل الدِّبْدِبَة من الملامح الرئيسية للمنطقة الساحلية للخليج العربي وشمال غرب هضبة الصُّمَّان، وهو سهل غريني عظيم إلى الجنوب الغربي من الكويت على شكل دلتا نهرية، قمتها قرب مدينة القيصومة حيث تنتشر من هناك تجاه الشمال الشرقي إلى واديي دَجْلَة والفُرَات. ويقطع هذا السطح الحصوي مجرى وادي البَاطِن الموجود الآن. وتحتوي الدِّبْدِبَة على الحصى وكسر من صخور تتناقص تدريجياً في الحجم تجاه الأطراف الخارجية، وهي مشتقة من الكوارتز والصخور النارية والمتحولة والأحجار الجيرية مع رواسب أدق مختلطة معها حملها وادي الرُّمَّة وامتداده وادي البَاطِن من الدرع العربي خلال الفترات المطيرة.

ويطلق اسم الدبدبة على منطقة واسعة تقع شرق الصمان تعرف قديماً باسم الدَّوّ، وهي أرض مستوية ليس فيها آكام ولا جبال قليلة النبات إلا إذا جادها الغيث، ونباتها الحمض والعشب، وفيها رياض وأودية وحزوم.

ويخترق وادي الباطن (فلج) الدبدبة، فيدع جانباً منها في الشمال الغربي منه وجانباً في الجنوب الشرقي. ويمتد هذا الجانب حتى يتصل بالوريعة شرقاً وجنوباً حيث تقع بلدة اللصافة. ولعل اسم الدبدبة مأخوذ من مدب السيل وهو موضع جريه. ويبلغ طول الدبدبة نحو مائة وستين كيلاً، وعرضها حوالي ثمانين كيلاً. وهي سهول جرداء، خالية من العلامات الأرضية. تنمو فيها أحياناً بعض الحشائش القليلة وتحوي المنطقة بعض المراعي في موسم الرعي ولكنها منطقة فقيرة للغاية، وليس فيها أية آبار للمياه ولكن البدو الذين يترددون دائماً على الجزء الشمالي منها يأخذون المياه من الجهرا بالكويت، وبها القليل من الظباء (الجاسر ١٣٩٨، ج٢: ٦٦١).

وجاء في معجم البلدان: أرض ملساء ليس فيها جبل ولا رمل ولا شجر، وقيل: الدو أرض خاوية يسار فيها بالنجوم ويخاف فيها الضلال وسميت الدو لأن الفرس إذا سلكوها بدوابهم تحاضوا فيها بالجد فقالوا بالفارسية دوْ دوْ. قال ذو الرمة:

ودوٍّ ككف المشتري غير أنه
بساط لأخماس المراسيل واسع

(الجاسر ١٣٩٨، ج٢: ٧٠٥).

السهول الحصوية في بعض الأودية. هناك مساحات كبيرة من السهول الحصوية المندمجة لها صفة الدلتاوات تنبثق من أنظمة صرف الأودية الرئيسية، مثل: وادي السَّهْبَاء، ووادي الدَّوَاسِر، ووادي نَجْرَان وحُبُونَا. ويظهر من التوزيع الحالي للمنكشفات أنه قبل أن تتكون رمال الرُّبْع الخَالِي ونُفُود الجَافُورَة وتطرأ على سطح المنطقة وتغطيه بكميات هائلة من الرمال كان جزء كبير من المنطقة الموجودة غرب خط الطول ٥١° ٠٠ شرقاً مغطى بحطام صخري خشن حملته تلك الأودية النهرية. فرأس دلتا وادي السَّهْبَاء ويقع عند حَرَض، ويمتد شرقاً إلى الحد الغربي لسبخة مَطِّي جنوب غربي الإمارات العربية المتحدة. ويتركز السهل الحصوي في مجاري الأودية النهرية القديمة التي تظهر في شكل أودية مقلوبة على علو أمتار قليلة فوق السهول المجاورة. أما سهل وادي الدَّوَاسِر وسهل وادي نَجْرَان فقد دفن معظمها تحت كثبان الرُّبْع الخَالِي ويظهر بعضها على شكل أودية مقلوبة في بعض المناطق المفتوحة عند الأطراف الجنوبية لسهل وادي السَّهْبَاء (الغنيم ١٩٨١: ٥٧).

بسيطا. تقع غربي وادي السرحان، وتمتد بامتداد الوادي من وادي حدرج إلى قرب نهاية الوادي من الناحية الجنوبية. وهي أرض مستوية فيها حصى منقوش أحسن ما يكون، وليس بها ماء ولا مرعى. سلكها أبو الطيب المتنبي لما هرب من مصر إلى العراق، فلما توسطها قال بعض عبيده-وقد رأى ثوراً وحشياً: هذه منارة الجامع، وقال آخر منهم وقد رأى نعامة: وهذه نخلة، فضحكوا، فقال المتنبي:

بسيطة مهلاً سُقِيْتَ القطارا
تركت عيون عبيدي حيارى
فظنوا النعام عليك النخيل
وظنُّوا الصُّوَارَ عليك المنارا
فأمسك صحبي بأكوارهم
وقد قصد الضحك منهم وجارا

وتسميها العامة بسيطا بالألف كما في شعر شاعر عامي يدعى الهربيد:

اللي لهم باقصى بسيطا مدالي

الجمش. أرض تربتها رملية خشنة، وتكثر فيها النتوءات الصخرية. ولا يكون الجمش إلا في نطاق الهضاب الحمر ونتوءاته الصخرية حمراء.

أطلق هذا الاسم حديثاً على البلاد الواقعة فيما بين جبلة وحليت من الشرق إلى الغرب، وبين منية وحشة الشعيفية من الشمال إلى الجنوب وعرفت بهذا الاسم بعد أن تأسست فيها الهجر، وأصبحت موطن استقرار. ويبدو أن اسمها مأخوذ من طبيعة أرضها، فهي صحراء مرتفعة تربتها رملية تكثر فيها النتوءات الصخرية الخشنة وأوديتها ضيقة وعميقة، وتنحدر إلى الشرق انحداراً واضحاً، وتفيض سيولها في أسفل وادي الرشا (التسرير) قديماً وغالب مياهها حلوة وآبارها عميقة. وتبعد عن الدوادمي مسافة تتراوح بين ستين إلى مائة كيل حسب موقع الهجرة من المنطقة (ابن جنيدل ١٣٩٨، ج١: ٣٣٠-٣٣١).

الطف. الطف في اللغة ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق، وسمي الطف من قولهم: خذ ما طفّ لك واستطفّ أي ما دنا وأمكن، وقيل لأنه مشرف على العراق فهو من أطف الشيء بمعنى أطل. ويطلق اسم الطف الآن على منطقة مرتفعة ممتدة من الجنوب إلى الشمال بامتداد المنطقة الشرقية من غرب الأحساء إلى غرب الظهران تحف بمنخفضات الأغوار والجوف ووادي المياه. وهي امتداد للأراضي المرتفعة في شرقي الصلب والصمان، ولكن الآكام والجبال ذات القمم تبرز فيها.

الطف أرض منخفضة صخرية ذات مساحة مستطيلة عند نهاية تلال تسمى بالاسم نفسه؛ تشتمل على خمسة آبار هي: عريعرة والنجبية وجودة ومتالع وأم ربيعة (الجاسر د.ت.، ج٣: ١٠٣٢-١٠٣٣)

والطفة في سروات الجنوب تطلق على الأماكن المشرفة على تهامة وعادة ما تكون مكتظة بالأشجار.

الحَزْم. من الحزن في الفصحى من الحزونة وهي الخشونة وهي الأرض الغليظة المرتفعة، والحزم من حيث المساحة أقل من الحزن وعند البادية الحزم والحزن

منظر لأحد الحزوم

هو ما اسود وارتفع ارتفاعاً واضحاً من الأرض فيه بعض الحصا.

قال ابن شميل في وصفه «الحزم ما غَلُظ من الأرض وكثرت حجارته وأشرف حتى صار له أقبال، لا تعلوه الإبل والناس إلا بالجهد، يعلونه من قِبَل قُبله، وهو طين وحجارة، وحجارته أغلظ وأخشن وأكلب من حجارة الأكمة، غير أن ظهره عريض طويل ينقاد الفرسخين والثلاثة، ودون ذاك، لا تعلوها الإبل إلا في طريق له قُبل مثل قُبل الجدار». وقد يكون الحزم في القف لأنه جبل وقف غير أنه ليس بمستطيل مثل الجبل. ومن الحزوم المشهورة حزم القمرا في وادي الدواسر وحزم القميع في الطائف.

ومن أشهر حزون العرب حزن بني يربوع، وحزن بني كلب، وحزن بني أسد. وهي متداخلة يتصل بعضها ببعض، وأشهر هذه الحزون وأوسعها حزن بني يربوع الذي يفلقه وادي الباطن، ويبدأ من الطرف الشمالي للصمان، ويمتد مستطيلاً شمالاً ومن الغرب إلى لينة. ومن أعلامه قيصومة فيحان وحومانة الدراج والتيسية. والحزن من أطيب الأمكنة لرعي الإبل، ففيه أودية وقفاف ورياض ورمال، ونباته يختلف باختلاف مواضعه، وتنوع النبات يجعل المرعى طيباً. ويضرب المثل بحسن أريج نباته. قال كثير:

وما روضة بالحزن طيبة الثرى
يمج الندى جثجاثها وعرارها
بأطيب من أردان عزة موهنا
وقد أوقدت بالمندل الرطب نارها

قال أبو حنيفة: قال مزيد أبو مجيب الربعي: نازع رجل من بني يربوع رجلاً من بني مالك في الحزن والصمان، فقال اليربوعي: الحزن أمرأ، وقال المالكي: بل الصمان. فتراهنا على ذلك عند الحجاج، فأمرهما أن يرعيا حتى يصيفا، وخرجا فأيمنا وأشملا واحتشدا حتى جاء الوقت، فإذا إبل الصمان كأن عليها الخدور، وقد ملأت أسنمتها ما بين أكتافها وأعجازها، وإذا الحزنية قد كاد يستوي طولها وعرضها من عظم بطونها، فلما نظر الحجاج إليها جعل يردد بصره بين هذه وهذه، ثم أمر بناقتين من خيارها فنحرتا فإذا شحم كثير، فأشكل أمرهما عليه، فأمر فأذيب شحمهما، فإذا شحم الصمانية عرزال لا يذوب، وأما الحزنية فانهمر شحمها فزادت على الصمانية وَدَكاً بفضل الحزن.

وقال حنيف الحناتم: من قاظ الشَّرَف وتربع الحزْن وتشتى الصمان فقد أصاب المرعى (الجاسر ١٣٩٧، ج١: ٤٢٢-٤٢٤).

الحمار. هو الحزن المنقاد أو المحدودب في بطن أو سهل أو روض، وغلبت التسمية عليه في بعض المواقع مثل حمار صبحا القريبة من خفيسة البطين وحمار الموجود تحت ظلم مما يلي منهل البقرة، وحمار قرية.

الغبيط. الغبيط أماكن في الحزن منقادة، وقال ابن حبيب: الغبيطة نجفة يرتفع طرفاها ويطمئن وسطها كغبيط القتب، ونقل عن ابن السكيت قوله: الغبيط أرض لبني يربوع، سميت الغبيط لأن وسطها منخفض وطرفها مرتفع كهيئة الغبيط. وهو قف غليظ وفيه أودية، منها: الغبيط وإياد وذو طلوح وذو كريب. وأوصاف المتقدمين تنطبق على صحراء واسعة من الأرض واقعة غرب وادي فلج (الباطن) في شمال الحزن أسفله يفصل بينها وبين السهول والمنخفضات الواقعة جنوب العراق مرتفعات الحجرة التي هي امتداد للحزن، وتلك الصحراء تدعى البطن وليس من المستبعد أن تكون ما يعرف قديماً باسم بطن الغبيط وبطن الإياد فنسي الاسمان الأخيران واستعيض عنهما باسم البطن. والبطن أرض منخفضة خالية من الجبال ممتدة من الجنوب الغربي إلى الشمال الغربي بمحاذاة الحزن تلب به من الشمال من أنصاب إلى المعانية ويحف بها من الشمال الشرقي مرتفعات أرض الحجرة. ومن الشمال الغربي والغرب مرتفعات تدعى ظهرة البطن (الجاسر د.ت.، ج٣: ٩٧٤-٩٨٠).

الشامات. جمع شامة، وهي أرض جلدة بين حبال الدهناء، صخرية تنبت العرفج كما تنبت أنواع العشب. ومن أشهر الشامات: شامة زرود، وفيها منهل زرود والوسيط والهاشمية وتمتد بامتداد عرق لزام حتى تقف عند منهل تربة، وامتدادها طولاً نحو ثلاثين كيلاً وعرض عشرة أكيال في أوسع اتساعها. وشامة مغيليث بين عرق لزام وعرق المظهور، ويتصل بها شامة أكباد الواقعة في غربيها. ومن أعلامها أكباد وهي قور في غربيها واحدها كبِد، وعنيتيت يقع في غربيها أيضاً (الجاسر ١٣٩٨، ج٢: ٧٠٢).

الحتايف. الحتيفة هي الأرض الصلبة؛ وهو اسم يطلق على جانب من الصمان أرضه صلبة مكسوة بحجارة خشنة يصعب السير فيها، ولهذا يتحاشى أصحاب السيارات سلوكها. وتقع هذه الأرض متاخمة للدهناء شرقاً، ممتدة من الشمال من قرب وادي الباطن من شرق أم عشر إلى قرب الفاو الجنوبي. ثم يقف طرفها الجنوبي عند طرف عريق

الدحول شمال درب المبيحيص، ويفصل بينها وبين الحنبلي أرض منخفضة سهلة ممتدة بامتداد أرض الحتايف. وأعرض جهة من الحتايف هو شمالها الموالي لوادي الباطن (فلج) حيث يقارب عشرين كيلاً، ثم تستدق في اتجاهها نحو الجنوب حتى تختلط في الصمان التي هي في الواقع جانبه الغربي الشمالي (الجاسر ١٤٠٠، ج٢: ٤٧٨-٤٧٩).

الأراضي المستوية

الحماد. الحماد والحمادة الأرض الواسعة المستوية، فهو وصف ولكنه أصبح علماً لمواضع من أشهرها الفلاة الواقعة شمال إقليم الجوف. وهي مستطيلة من الجنوب إلى الشمال، يحدها جنوباً الآكام والمرتفعات التي تفصل بينها وبين منخفض الجوف، ويحدها غرباً الحرة، وشرقاً فروع أودية أبا القور، وفروع عرعر وحامر والمراء، وتلك الفروع تنحدر من الحماد وكانت قديماً تعرف باسم الملحاء، وتقع طريف في ناحية الحماد الشمالية الغربية (الجاسر ١٣٩٧، ج١: ٤٥٥-٤٥٦).

الصلعا - الصليعاء. صفة للأرض التي لا تنبت شيئاً، وزبارة الرمل ليس فيها نبات. وقد تسمى بلقع.

الصحصح. وهي الأرض الواسعة الجرداء المستوية. قال الأمير خالد الفيصل:

شبيت ضوي في الظلام
في صحصحٍ ذيبه عوى

الجهراء. ما استوى من الأرض، لا شجر فيها ولا آكام ولا رمال وإنما هي فضاء هذا المعنى اللغوي للكلمة. ويطلق هذا الاسم على أرض واسعة تقع شرق حرار خيبر وشمالها، فيما بينها وبين تيماء وفيما بين تيماء والعلا؛ أي إنها تحيط بتيماء غرباً وشمالاً وهي أرض كثيرة النبت. وكانت هذه الأرض تعرف قديماً باسم الجناب، وفيها يقول ابن دارة:

خليليّ إن حانت بحمص منيتي
فلا تدفناني وارفعاني إلى نجد
ومرا على أهل الجناب بأعظمي
وإن لم يكن أهل الجناب على القصد
فإن أنتما لم ترفعاني فسلما
على صارة فالقور فالأبلق الفرد
لكيما أرى البرق الذي أومضت له
ذرى المزن علوياً وماذا لنا يبدي

والجهراء في سراة غامد وزهران يطلق على مجرى السيل الملئ بالأحجار التي يجرفها السيل وتسمى أيضاً الجَلّة.

الباحة. الأرض الفسيحة، وبها سميت الباحة الواقعة في الطرف الشمالي

الغربي من بلاد غامد، جنوبي شرقي بلاد زهران، وتعتبر قاعدة المنطقة الإدارية وتبعد عن الطائف حوالي ٢٣٠ كيلاً إلى الجنوب، ويخترقها طريق الطائف-أبها (الزهراني ١٤٠١: ٤٥).

الرصيف الصحراوي (الرُّصُف الصحراوية). أرض صحراوية مستوية مفروشة بالحصى، تكونت نتيجة تذرية الرياح للمواد الدقيقة، ولها عند العرب عدة أسماء، أقربها إلى هذا المعنى الوحفاء والحمة. وتسمى عند بدو الأردن أرض الصوان.

الرهوة. المكان المنبسط في الأرض المرتفعة. ورهوة البر منطقة منبسطة تقع بين قرية الرهوة من الجنوب والأثمَّة وبني سار من الشمال، وقرى البلعلاء من الشرق وشعب الغربي للجادية قرب قرن ظبي من الغرب، وهي من الحدود الفاصلة بين غامد وزهران. وهناك أكثر من قرية وجبل تعرف كلها بالرهوة في تلك المنطقة (الزهراني ١٤٠١: ١١٥).

الرقة. وتجمعها البادية على رقاق ورقارق وهي الأرض المنبسطة المستوية الواسعة التي تغطيها التربة اللينة. وكذلك هي في اللسان ما عدا جمع رقارق. وقال الأصمعي الرقاق: الأرض اللينة من غير رمل.

الريغاء. غبرة دقيقة تغطي سطح الأرض في المناطق الطمية غالباً في الرياض والخباري الجافة. وهي سرعان ما تتطاير في الهواء على شكل غبار لخفة وزنها. ويقال لها في بعض مناطق الجنوب الريغة.

الجباب. هي التربة الغليظة إذا حرثت أرضها لا تتفتت بل تبقى قطعاً كبيرة صلبة بعض الشيء وفي اللسان تسمى الجبوب.

السَّمَار. سَمَار من السُّمْرَة وهي السَّواد، وهي صحراء تغطيها حجارة سود صغيرة، مثل سَمَار الرَّاهِصِيَّة، وسَمَار الخَضَارة وسمار حلبان، والسمارة قرب تثليث، وقد يرد مؤنثاً فيقال سَمَارة، والمصغر لا يذكر غالباً إلا مؤنثاً، فيقال: سُمَيِّرَة. وقد يطلق السمار على الحزن يجلله السواد.

العبلة. جمعها عبال وعُبَل وهي اسم لكل أرض منبسطة ظاهرة تجللها حجارة المرو والتي يغلب عليها البياض سواء كانت في أرض سمار أو غيرها؛ ومن أشهرها عبلة سدير تمتد من وادي المياه في سدير جنوباً إلى وادي المشقر شمالاً وشرقاً تحدها جبال مجزل وغرباً منخرقات أودية طويق (جوي والقريف) (ابن خميس ١٤٠٠، ج٢: ١٣٥).

العبلة

والعْبِلةُ أو عبلة سجا تقع إلى الغرب من رغبا وإلى الشرق من ظلم، وهي من أشهر العبال في عالية نجد، وعبلة أبو مروة تبعد عن القويعية ٥٥كم صوب الغرب، وعبلة المقرن وتبعد عن عفيف غرباً ١٥٠ كم تقريباً (ابن جنيدل ١٣٩٩ج٣-٣٥, ٩١١-٩١٦).

المهمه. الأرض المقفرة من الناس ولا ماء فيها وتجمعها العامة على مهمهيه قال الشاعر محمد الأحمد السديري:

في مهمه قفرٍ من الناس خالي
يشتاق له من حس في القلب هوجاس

البراح. الأرض الواسعة والخالية من المعوقات كالحجارة والأشجار وفي اللسان هي الأرض الواسعة لا زرع فيها ولا شجر سميت كذلك لبروزها وظهورها.

الفياح. الأرض الواسعة الخالية من الجبال السهلة المسالك وكذلك وردت في اللسان كل موضع واسع فيَّاح وروضة فيحاء ودار فيحاء أي واسعة، والعامة في عهدنا الحاضر في بعض المناطق تبدل الفاء باء فتقول بياح ووردت في اللسان الباحة باحة الدار أي ساحتها والجمع بوح.

الجرهدية. تطلقها البادية على الأرض المستوية بها شجيرات سهلة المسالك خالية من العوائق-مماثلة للدبدبة. قالت وسيم العامرية:

لاعوي عوا السرحان في جرهديه
واعوي عواه بنايفات الفرايد

المتياهة. تطلقها البادية على الأرض الواسعة التي لا علامات بها ولا موار تساعد الشخص على التعرف عليها. وقد تطلق المتياهة على المناطق المتشابهة المتقاربة التي تصيب من لا يعرفها جيداً باللبس مما قد لا يمكنه من التفريق بينهما مثل ذلك متياهة سدير وهو شعيب مواز لشعبين عنه جهة الغرب هما شعيب سديران وشعيب سدير، ومتياهة المهمري يشابه تكوينها وادي المهمري وهي قريبة منه لذلك يعتقد من وصل إلى المتياهة أنه في الوادي وجميع هذه المواقع في الصمان.

المسحاء. أرض مستوية جرداء كثيرة الحصى ليس فيها شجر ولا تنبت، غليظة جلد تضرب إلى الصلابة، ليست بقفٍ ولا سهلة، وقيل المسحاء الحمراء، وقيل السوداء.

المنخفضات

قد يُظن أن الرياح ليس لها ذلك الأثر الذي يؤدي إلى تكوين المنخفضات المنتشرة في الصحاري الجافة، وأن العامل المائي هو العامل الرئيسي في نشأة تلك الأشكال الأرضية. إلا أن المتجول في المناطق الصحراوية لا يلبث أن يدرك بوضوح أثر الريح في هذا المجال عندما يرى الأعاصير الهوائية التي تنشأ نتيجة تسخين سطح الأرض ابتداء من منتصف النهار وهي تحملُ كميات كبيرة من الأتربة والمفتتات الصخرية من الأراضي التي تمر عليها إلى مناطق أخرى. وأكثر المناطق تعرضاً لهذه العملية تلك الأراضي التي سقطت عليها أمطار غزيرة، وتلك التي تنتهي إليها سيول الأودية حيث تصبح أسهل تأثراً بالتعرية الريحية بالأعاصير لعدة أسباب، منها تمتع هذه المناطق بوفرة نباتية لتوفر الرطوبة الأرضية، فيتوجه إليها الرعاة بقطعانهم التي تعمل على اجتثاث النباتات من أصولها وتعرية التربة وتسهيل انتقالها بالرياح، كما تنتشر فيها المئات من جحور الأحياء الصحراوية مثل الضباب والثعابين واليرابيع وغيرها التماساً للرطوبة في فصل الصيف الحار. وتعمل الرياح على حمل مخلفات تلك الجحور، فإذا ما جاء موسم المطر التالي تخلخلت وتهدمت فتحفرها الأحياء الصحراوية مرة أخرى. وتكرار تلك العملية يؤدي إلى التخفيض المتتابع في تلك المناطق. وكثيراً ما تتعرض الأجزاء المتوسطة من مناقع المياه للتشقق بعد جفافها مما يسهل عملية التذرية وتطاير المواد الدقيقة. وبهذا فإن الرياح، وإن لم تكن العامل الأولي في صنع تلك المنخفضات، هي العامل الثانوي الأكثر فاعلية في تكوينها.

وهناك نوع من المنخفضات تعرف ببطائح الماء تتجمع فيها مياه التصريف الداخلي في الصحاري، وتتصف باستوائها ورواسبها الدقيقة وخلوها من الحياة النباتية. ويتباين اتساع هذه المنخفضات من حفر صغيرة لا يتعدى قطرها بضعة أمتار، تضافرت في تكوينها عمليتا الإذابة والتذرية، كالخبراوات الصغيرة التي تنتشر فوق سطح الصمان وأسطح الحماد، إلى منخفضات يبلغ قطرها عشرات الكيلومترات كالقيعان والسباخ الفسيحة. وتستمد هذه المنخفضات مياهها إما من المجاري السطحية أو المطر المباشر، أو من المياه الجوفية التي تصل إلى السطح عن طريقين؛ مباشرة حيث يتقاطع مستوى الماء الباطني مع سطح الأرض، أو بالخاصة

الشعرية. ويمكن أن تستمد هذه المنخفضات مياهها من هذه المصادر جميعاً.

وتحفل المعاجم العربية، الجغرافية منها واللغوية، بذكر كثير من أسماء المنخفضات، منها ما يمكن تحديده وتوزيعه، ومنها ما أشار إليها العرب دون أن يكون لها دلالة واضحة، فمثلاً الغَمْض والغَامِض هو المطمئن المنخفض من الأرض. قال أبو حنيفة: الغمض أشد الأرض تطامناً يطمئن حتى لا يُرى ما فيه، وهو أشد تطامنا من الغائط ونحو الأخير الجَوْف والمِهْوَأَن. وبالرجوع لكتاب المخصص، يمكن الحصول على عشرات الألفاظ الدالة على هذا النوع من المنخفضات.

الجوف. من أشهر المنخفضات، وقد عُرِف بهذا الاسم قديماً وفي هذا العهد، كما يقال له دومة الجندل وجوف آل عمرو نسبة إلى سكانه الأقدمين بني عمرو من قبيلة طيء. واسم الجوف جاء من المعنى اللغوي الذي يُقصد به الأرض المنخفضة، ويعرف حديثاً أيضاً باسم نقرة الجوف والجوف غير مضاف، وهو أشهر اسم عرف به.

وقد ذكر هذا الموضع والمواضع المجاورة له المتنبي، وهي معروفة بأسمائها تلك. وقد أشار المتنبي إلى عقدة الجوف بقوله:

إلى عقدة الجوف حتى شفت
بماء الجرادي بعض الصّدى

ويبدو أنه يعني بعقدة الجوف واحة دومة الجندل لأن العقدة تعني الأرض الكثيرة النخل، ودومة الجندل معروفة بكثرة نخيلها وخصبها حتى ضرب بها المثل فيقال: آلف من غراب عقدة لأن غرابها لا يطير (ابن جنيدل ١٤٠١: ٧٤-٧٥).

وهناك عدة مناطق تعرف باسم الجوف، منها جوف مراد، نسبة لقبيلة قحطانية معروفة، يقع جنوب نجران ولا يزال معروفاً. ومنها موضع آخر في جنوب ثاج وحنيذ والصرار غرب بلدة الجُبيل. وفي بلاد قحطان الجوف بقرب وادي طريب في أعالي وادي تثليث، ولا يزال معروفاً. وفي السروات كما في أسافل جبالها مما يوالي تهامة أماكن عديدة تسمى الواحدة منها بالجوف وهي شعاب ضيقة وعميقة وشديدة الانحدار بها عيون جارية غالباً.

الخبت. ما اتسع من بطون الأرض فهو الخبت، وهو علم لمواضع منها خبت كلب قال فيه الأخنس بن شهاب التغلبي:

وكلب لها خبت فرملةُ عالج
إلى الحرة الرجلاء حيث تحارب

وقَرَنَ الأخطلُ خبتاً لعرعر، فقال يصف سحاباً:

فما زال يسقي بطن خبتٍ وعرعر
وأرضهما حتى اطمأن جسيمها

كما قرن بينهما امرؤ القيس بقوله:

سما لك شوق بعد ما كان أقصرا
وحلت سليمى بطن خبت فعرعرا

ويظهر أن اسم خبت يطلق على منخفض الجوف، أي غوطة الجوف (الجاسر ١٣٩٨، ج٢: ٤٩٠-٤٩٢).

وعد العقيلي في جازان عدداً من المواضع يسمى كل منها خبتاً مثل خبت البقر وخبت ابن جبران وخبت الخارش وخبت الزهبين وغيرها (العقيلي ١٣٩٩: ١٦٢).

القاع. القاع الأرض الحُرة الطين التي لا يخالطها رمل فيشرب ماءها، وهي مستوية ليس فيها تطامن ولا ارتفاع، واسعة سهلة مطمئنة، قد انفرجت عنها الجبال والآكام. وهو ما استوى من الأرض لا حصى فيه ولا حجارة، ولا ينبت الشجر، وما حواليه أرفع منه، وهو مصب المياه (الأزهري ١٩٦٤، ج٣: ٣٣). وقد وصف القاع في القرآن الكريم بالصَّفْصَف فقال تعالى ﴿فيذرها قاعاً صفصفا﴾ (طه: ١٠٦). والصَّفْصف كما جاء في لسان العرب لابن منظور: الذي لا نبات فيه، والصَّفصف أيضاً المستوي من الأرض وجمعه صَفَاصِف، وقيل الصَّفْصف المستوي الأملس، والقاع إذا كان أملس يسمى قرقرة وهي صفة تطلق على مواضع.

ويطلق لفظ القَرْعَاء على جزء الرَّوْضَة الخالي من النبات، إذ كثيراً ما يحدث وجود منطقة مرتفعة نسبياً عن أجزاء الرَّوْضَة الأخرى فلا تصلها مياه السيل اللازمة لنمو النبات. والقَرَعُ هو أن يكون في الأرض ذات الكلأ مواضع لا نبات فيها كالقرع في الرأس. وأرض قَرِعَةٌ: لا تنبت شيئاً. وأصبحت الرِّيَاضُ قُرْعاً: قد جردتها المواشي فلم تترك فيها شيئاً من الكلإ.

والقيعان كثيرة في بلاد العرب، والغريب أن ياقوتا والبكري لم يذكرا قيعان الجزيرة بالتفصيل على نحو ما فعلا بالدارات والروضات. ويبدو أن ذلك ناشئ عن عدم صلاحية هذا النوع من الأرضين للسكنى، كما هو الحال في الدارات والروضات.

ويمكن تقسيم القيعان من حيث النشأة إلى عدة أنواع، منها القيعان المرتبطة بمظاهر الجيلان وهي أكثر القيعان انتشاراً في الجزيرة، إذ تعترض مئات الأودية

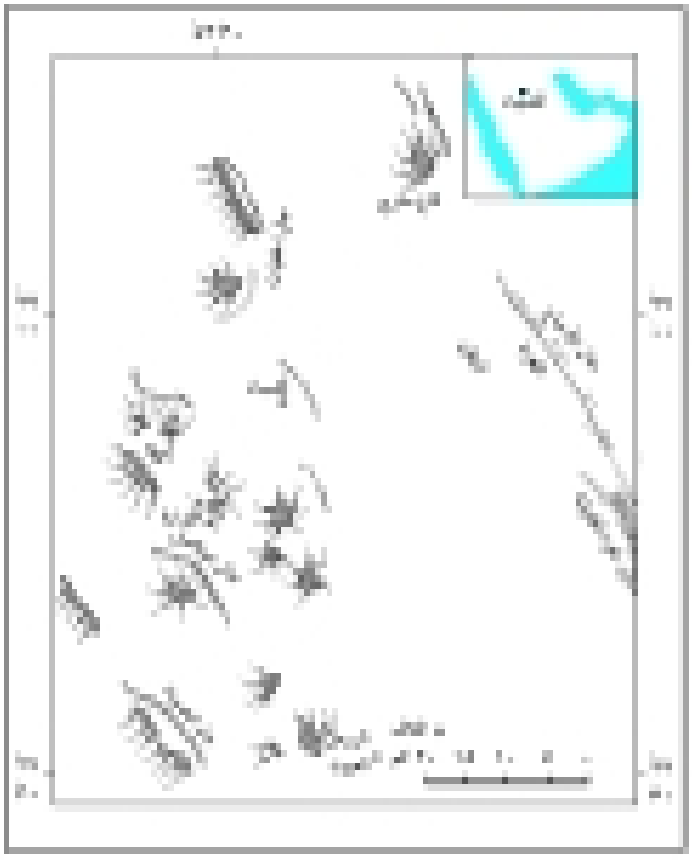

خريطة توزيع القيعان في منطقة القصيم

والمسايل في انحدارها الطبيعي نحو الشرق والشمال الشرقي مجموعة من الجيلان، تحول دون تدفق مياهها. فتتكّون مسطحات مائية تغذيها تلك الأودية، بالإضافة إلى عدد كبير من الأودية القصيرة الشابة التي تنحدر من ظهر الجال نحو المنخفض. وتعمل على تمزيق جرف الجال وتقطيع صخوره، مشكلة أراضي وعرة يصعب قطعها بالمركبات. ويؤدي التمزيق الذي يسببه العديد من الأودية القصيرة الشابة في جرف الجال إلى تراجع بطيء لحافاته، ومن ثَمَّ يتسع القاع تدريجياً. ومن ناحية أخرى فإن المواد الغضارية الناعمة، والرواسب التي تتركها تلك العملية، بالإضافة إلى ما تتركه الأودية الأخرى من رواسب في قاع المنخفض، يقابلها نشاط متزايد من الأعاصير الهوائية صيفاً، تذري هذه الرواسب الناعمة الناتجة عن تشقق أسطح هذه القيعان بعد جفافها.

وأمثلة هذه القيعان كثيرة في جزيرة العرب، منها في منطقة القصيم قاع مَدْرَج والعُصْودَّة وصَلاصَل. وقاع مدرج من أكبر القيعان وهو محفور وسط وشاح سطحي من حجر الكلس الرملي، ويتراوح سمكه بين بضعة سنتيمترات وأربعة أمتار، ويرتكز القاع فوق تكوينات حجر الطفال ويحده من جهة الشرق جال مدرج. ويطلق على ظهر ذلك الجال صفراء الأسيَاح، وهي من تكوين منطقة الجله المؤلف من حجر الرمل وحجر الطفال الحديدي والجصي، ومن حجر الكلس والدولومايت الرمليين. وتحيط الرمال والأبارق بأجزاء متفرقة منه، كما تبدو جروف الجال على شكل مصاطب وأكمات ممزقة من الغرين والطفال.

وفي منطقة حائل مجموعة من القيعان الكبيرة؛ يبدو أنها هي التي جُمعت قديما في اسم واحد وهو -كما جاء في معجم البلدان- قاع قُراقِر «الذي ينتهي إليه سيل حائل وتسيل إليه أودية ما بين الجبلين، وهما جبل أجأ وجبل سلمى. ولفظ قراقر -فيما يبدو- جاء من القَرْقَر وهو القاع الأملس الذي لا شيء فيه» مثلما جاء في لسان العرب. قال الأزهري: والقرارة القاع المستدير، والقرقرة: الأرض الملساء ليست بجد واسعة، فإذا اتسعت غلب عليها اسم التذكير فقالوا قرقر. وقيل: القرقرة وسط القاع ووسط الغائط، والمكان الأجرد منه، لا شجر فيه ولا دفء ولا حجارة، إنما هي طين ليست بجبل ولا قف، وعرضها نحو من عشرة أذرع أو أقل. وقد أطلقت العرب اسم قاع قراقر على مجموعة من القيعان الكبيرة الواقعة في منطقة حائل. ويتألف قاع قراقر من عدة قيعان تمتد بمحاذاة جال عَيار من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي. وتبدأ من قاع طِيَارات، وهو أكبر القيعان حيث يزيد طوله على ستة كيلومترات ويتجاوز عرضه كيلو مترين، ويصب فيه شعيب الصَّدْر الذي ينحدر نحو الشمال الغربي حتى ينتهي إلى قيعان صغيرة تفيض كلها في قاع طيارات. ويلي هذا القاع -باتجاه الشمال الغربي- قيعان الثُّمَيد والقُصَيْفَة وهُوبَان، ويصب في الأخير وادي حائل، الذي ينحدر من جبل أجا. ويوجد غربي قاع هوبان قاع ملحي كبير يسمى بَقْعَا؛ وهو قاع مستدير تحيط به أشجار الطرفاء، وبعض النباتات التي تتحمل الملوحة كالفِرْس والضُمْرَان، وبالقرب منه مزارع النخيل والخضر وبعض الفواكه. ولشكل هذا القاع تأثير على نمط العمران الذي يتألف من ثلاث قرى تستدير بالقاع هي البقعا الشرقية والبقعا واللويمي في الشمال.

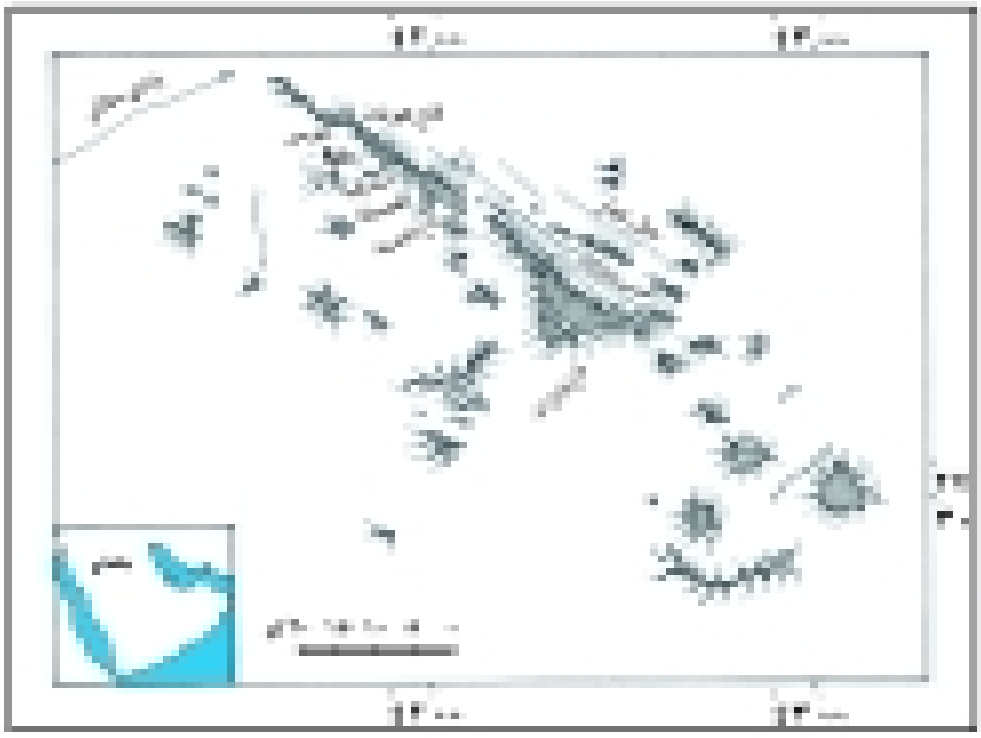

خريطة قاع بقعا، والقيعان المتصلة به

ويصب في هذا القاع من الجهة الجنوبية وادي أعيوج الذي يمده جال الزرقا بعدد من الروافد.

ترتكز هذه القيعان على تكوينات من حجر الرمل الذي يتراوح لونه بين الأبيض والبني الفاتح. ويشبه هذا النمط من القيعان تلك القيعان الناتجة عن التقاء الأودية المنحدرة نحو الشرق والشمال الشرقي بالرمال المستندة على الجيلان المذكورة، مثل قاع خَرْمَا الناتج عن التقاء وادي الرِّشَاء وشُعَبى وأُضَاخ وأَثلة مع نفود الشقيقة.

وتنبغي الإشارة إلى أهمية عملية التذرية في إمداد العروق الرملية المحاذية للجيلان، المتمثلة في رمال الشقيقة والسِّر والثُّوَيْرَات، وكذلك إلى أثرها في تكوين كثبان رملية محدودة يقع أغلبها بالقرب من القيعان. ويمكن الاستدلال على ذلك بالكثبان الرملية المنتشرة جنوب شرقي قاع مَدْرَج التي تصطبغ باللون الأحمر الناتج عن تذرية الطبقة الحمراء المنتمية للعصرين البرمي والترياسي التي يرتكز عليها حوض قاع مدرج. وإذا عرفنا أن معظم تلك الكثبان تكثر عند منصرف

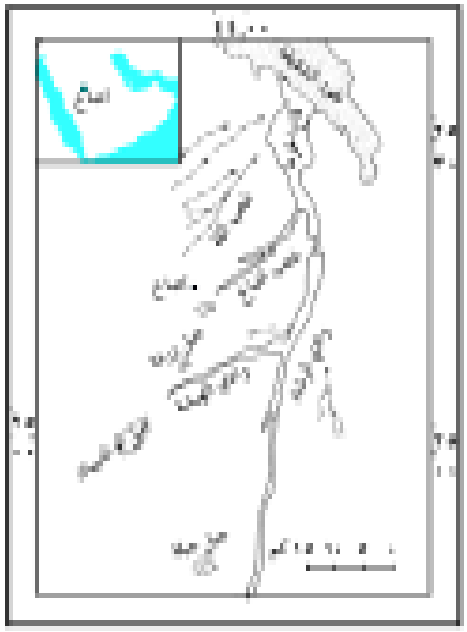

خريطة قاع خرمة

الريح من القاع، أي في الجنوب الشرقي، فإنه ليس من المستبعد أن يمتلئ بالرمال حوض القَعْرة وهو الحوض المقعر المستطيل الممتد من قاع مدرج حتى الطرف الشمالي لنفود الطُّرفيَّة.

وهناك القيعان الناتجة عن التقاء رافد بالوادي الأصلي، وتحدث عند التقاء رافد كبير مثل وادي الجَرير الذي كان يدعى قديما بالجَريب، بوادي الرمة مما يؤدي إلى تكوين قاع كبير له نفس خصائص القيعان السابقة من حيث الاتساع والاستواء والتشقق.

أما قيعان المنخفضات الكبرى الناتجة عن مناخ البلايستوسين الرطب فهي من أكبر القيعان في شبه الجزيرة العربية. ويضم منخفض السرحان في شمال غرب الجزيرة (حوالي ٢٥٠٠٠كم٢)، عدداً كبيراً من هذه القيعان التي تمتد من الجنوب الشرقي نحو الشمال الغربي. وأهمها قاع الأزرق في الشمال، والقاع الممتد بين بلدتي سكاكا وقُرَيَّات المِلْح. وتدل الشواهد على أن القاعين كانت تشغلهما في عصر البلايستوسين الرطب بحيرات ما زالت آثارها ظاهرة في الشواطئ المرفوعة والمدرجات الفيضية. ففي قاع الأزرق «سَجَّلت بعض أودية المنطقة نوبات امتداد البحيرة البلايستوسينية وانحسارها بعدد من المدرجات الفيضية التي أمكن التعرف على بعضها بالمجرى الأوسط لوادي رَاجِل الذي يدخل قاع الأزرق من الشرق، وتعلو أقدم بقايا المدرجات بذلك الوادي أكثر من عشرة أمتار فوق بطنه، بينما يوجد مستوى أوسط على ارتفاع سبعة أمتار يفضي بدوره إلى مدرج أدنى فوق القناة النشطة بمترين» (بحيري ١٩٧٢: ١٤٨). وينتشر فوق سطح القاع الواقع بين سكاكة وقريات الملح عدد من التلال الطينية الشبيهة بتلال الأزرق، مشيرة إلى الحيز الذي شغلته إحدى البحيرات القديمة

بالمنخفض (بحيري ١٩٧٣ : ٥٥). وفي كل من هذين القاعين عثر على مجموعات من أدوات حجرية، بدا من دقة صناعتها أنها ربما تنتمي لإحدى مراحل حضارات العصر الحجري القديم الأعلى الذي بدأ فيه الإنسان يستقر بالقرب من البحيرات والمسطحات المائية العذبة.

والتحليل المنطقي لنشأة هذه القيعان أن البحيرات البلايستوسينية قد تركت بعد تلاشيها وجفافها أسطحاً صالحة للتذرية، قامت الرياح بتعميقها وحفر بطونها بسرعة تفوق معدلات الإرساب فيها. ومما يؤسف له أن هذه القيعان لم تنل عناية القدماء إذ جل ما أشار إليه ياقوت -على سبيل المثال- هو أن الأزرق ماء في طريق الشام دون تيماء. وأشار أيضاً إلى القرى التي تحتل القاع الآخر وهي دومة الجَنْدل وسكاكة والقَارَة، ويشملها جميعاً اسم القريات. كما نقل عن أبي سعد قوله إن دومة الجندل تقع في غائط من الأرض مقداره خمسة فراسخ، ومن قبل مغربه عين تَثُجُّ فتسقي ما به من النخيل والزروع.

ومن أمثلة القيعان الموجودة في المنطقة الجنوبية الغربية قاع جرب شرقي محافظة العقيق بحوالي أربعين كيلاً، كما تكثر القيعان في أطراف حرة كشب وحرة رهاط مثل قاع أم الغيران إلى الجنوب من المهد، وقاع المسلح وقاع المشخص.

الرَّوضَات والفياض. وهي منخفضات صغيرة اهتم بها القدماء فذكروها في أشعارهم، وحفلت بأسمائها معاجمهم. ذكر ياقوت في معجمه تحت عنوان «بيان الرياض التي ببلاد العرب» ١٣٦ روضة؛ وقال «والرياض المجهولة كثيرة جداً، إنما نذكر هنا الأعلام منها، وما أضيف إلى قوم أو موضع تجاوره أو واد أو رجل بعينه. وأعلم أنهم يقولون رَوضَة وَروضَتان ورِيَاض وَروضَات، كل ذلك لضرورة الشعر».

والروضة عند العرب هي الأرض المنخفضة التي يَتَحيَّر فيها الماء، أو يَسْتَريض فيها، ومن هنا جاءت تسميتها بالروضة. وإذا كانت الروضة في القِفَاف أو الحُزون المرتفعة فإنها تسمى السَّلَق وجمعها سُلْقان. قال الأزهري: ورياض الصَّمان والحَزْن في البادية قيعان وسُلْقان واسعة مطمئنة بين ظهراني قِفاف وجَلَد من الأرض، يسيل إليها ماء السماء فَتُنبت ضروباً من العشب والبقول، ولا يسرع إليها الهَيْج والذُّبُول، وإذا أَعشبت تلك

الرياض وتتابع عليها الوسمي (مطر أول الربيع) رَتَعت العرب ونَعَمُها جمعاء. وإذا كانت الرياض في أعالي البِرَاق والقِفَاف فهي السُّلْقَان واحدها سَلَق، وإذا كانت في الوطاءات فهي رياض، وفي بعض تلك الرياض حَرَجات من السِّدر البري.

وقد ذكر ياقوت أن هناك فرقاً بين الروضة وغيرها من المنخفضات من حيث الحجم، فربما كانت الروضة واسعة يكون تقديرها ميلا في ميل، فإذا عرضت جداً فهي قِيعان وقِيعَة واحدها قاع، وكل ما يجتمع في الإِخَاذ والمَسَاكات والتَّنَاهي فهو روضة عند العرب وعرضها وطولها سواء، وأصغر الرياض مائة ذراع ونحو ذلك. ويرى ابن شُمَيل أن الروضة قد تكون دَعْوة (والغَرَض مثلها) مثلما جاء في المخصص. ويبدو أن كلمة دَعْوة في عبارة ابن شميل بمعنى كلمة رَتْوَة التي تعني الغرض أيضاً، وهو مقدار رمية السَّهم، التي قدّرها العرب بخمسمائة ذراع (ابن رسته ١٩٨١ : ٢٢) أي حوالي ٢٣١م، وهي الغَلْوة أيضا. وذهب أبو زياد الكلابي إلى أبعد من ذلك حين ذكر أن الروضة قد تبلغ سعة بغداد مثلما جاء في لسان العرب. والواقع أنه ليس هناك تعارض بين هذه الأقوال، إذ يتراوح حجم الروضة بين الحوض الصغير الممسك للماء كالغُدران -واحدها غَدير- وبين المساحة الكبيرة التي أشار إليها الكلابي. وربما انطبق ما ذكره ياقوت على رياض الصَّمان بصورة خاصة، أما قول الكلابي فينطبق على رياض القصيم وسدير التي نشأت حولها القرى والمزارع.

وتختلف الروضة عن القاع في الإنبات، إذ يكاد يخلو الأخير من النبات فيما عدا حواشيه وجوانبه حيث تنمو متفرقة بعض النباتات التي تتحمل الملوحة، كالطَّرفاء والضَّمْرَان والفرْسُ والأشْنَان. أما الروضة فنباتها مُلْتَف مُتَكاوس، ويكثر فيها العُشب كالنَّفَل والحُوَّاء والحِنْزَاب وغيرها. وعندما يكثر نبات الروضة تسمى حديقة وحدائق الرَّوض هو ما أعشب منه والتفّ، ويقال روضة بني فلان ما هي إلا حديقة، وتسمى حديقة لأن النبت في غير الروضة مُتَفَرِّق، وهو في الروضة مُلتف مثلما جاء في معجم البلدان. وتتباين الحياة النباتية في الرياض بتباين موقعها الجغرافي، فرياض الصَّمان التي ذكرها ياقوت تكثر فيها أشجار السَّدر البري والغَرْقَد، وفي نجد تنتشر شجيرات

الرِّمْث، أما في الحجاز فالنَّبات السائد هو السَّمرُ والسَّلَم والسيَال بجانب النباتات والأعشاب الفصلية.

وأشار ابن شميل إلى أن من خصائص الروضة أن يكون لها احتقان، أي أن تشرف جوانبها على سرارها، أي وسطها وهو خير منابتها. ورب روضة مستوية لا احتقان لها، وإنما هي روضة تفرغ إما في روضة أو في واد أو في قُف، فتلك الأراضي أبداً روضة كل زمان سواء أكان فيها العشب أم لم يكن، والكلام لياقوت الحموي. ويطلق على حواف الروضة والقاع الحجاج والحاجب والحواجب. وقد يطلق على الروضة الحديقة حيث يلتف عشبها.

وتختلف الروضة عن القاع أيضاً في مدى احتفاظها بالماء، فالقاع قد يحتفظ به لمدة شهور، أما الروضة فلا تحتفظ به أكثر من أيام قليلة. فالروضة إما أن تفرغ ماءها في روضة أخرى قريبة (ولهذا يسميها البدو أحياناً الفيضة)، أو تصرفه في واد يأسر مياه هذه الروضة، ويسمى الجدول الذي يُسِيل ماء الروضة إلى غيرها مِذْنب الرَّوضة والجمع مَذَانِب ويقال للتي يَسِيل عليها الماء مِذْنب أيضاً، والكلام لياقوت الحموي. وقد تصرف الروضة ماءها في قُفٍّ. ولا يكون ذلك إلا في مناطق الصخور الجيرية حيث تنتشر الحفر البالوعية، التي تتباين في أحجامها من الغيران الصغيرة التي تشبه جِحَار الثعابين والهَوام إلى الدُّحْلان والخُسُوف الكبيرة. والروضة حينئذ من القُف التي هي فيه. قال ابن شميل «ولو ذهبت تحفر فيها لغلبتك كثرة حجارتها وهي إذا رأيتها رأيتها طينا وهي تُنبت وتُعشب»، والكلام لابن منظور.

ويعطي ابن منظور نقلاً عن الأزهري تفسيراً مقبولاً للتفريق بين القيعان والرياض، فبينما تكون أرض القيعان ضعيفة النفاذ، تمنع رواسبها الطينية الناعمة كل قدرة على الإنبات، نجد أن ميزة الروضة في أرضها النفاذية التي تساعد على الإنبات. يقول الأزهري: فإذا كان البلد سَهْلاً يَنْشَفُ الماء لسهولته، وأسفل السهولة صلابة تمسك الماء فهو مَرَاضٌ، وجمعه مَرَائض ومراضات، وإذا احتاجوا إلى مياه المَرائض حفروا فيها جِفَارا فشربوا منها واستقوا من أحسائها إذا وجدوا مياهها عذبة. وإذا ما طبق ذلك على الواقع نجد أن معظم الرياض قد حفرت فيها الآبار، بل إن منها ما قامت حولها الزراعات ونشأت عندها القرى.

والروضات أو الرياض كثيرة في بلاد العرب، منها رياض الصَّمان والحزن، وهي منخفضات أو حفر لا يتعدى عمقها بضعة أمتار تُرَصِّع سطح الصَّمان الجيري، ويمكن مشاهدة العديد منها في الطريق بين الرياض ورماح والشُّملول. ويمكن الاستدلال عليها بسهولة من أَحراج السِّدر البري الذي يتكاثر فيها مختلطاً مع كثير من أنواع النباتات الصغيرة الأخرى، كالشِّيح والشُّبْرُم.

والصمان منطقة تقع شرقي الدَّهْنَاء، وجنوبي وادي البَاطِن، وغربي وادي المِيَاه، وشمالي طريق المنطقة الشرقية في المفصل ما بين الدهناء والفُرُوق، يتداخل مع منطقة الصُّلْب فيما أدخلته هذه الحدود، حتى لا يكاد عارف أن يفرق بينهما. وبعضهم يرى أن الصمان هو الصلب، والصلب هو الصمان، وحتى التسمية لا تكاد تفرق في مدلولها بين هذا وذاك. فالصلب: هو ما صلب من الأرض وقسا. والصمان كل أرض صلبة ذات حجارة حَتّة وعرة. وهذه المنطقة (الصمان والصلب) حزون متداخلة وقفاف وحتائف، تتخللها رياض ومستقرات مياه وقيعان، كلها تنبت السّدر والعَوْسَج، ويشتبك فيها الشِّيْح والقَيْصُوم والجَثْجَاث والعَرَار والجَعْد، وتسخو بنبات الرياض العطرة الفاغية؛ فيطيب منظرها، ويعبق عطرها، ويترنم طيرها، ويحلو فيها الربيع، ويلتذه المتربعون. قالت بنت الخِس-وقد سئلت أي البلاد أمرأ؟ قالت: خَيَاشِيْم الحَزْن، أو جَواء الصمان، قيل ثم أي؟ قالت: أزهى (أجَلَى) أيّ شئت.

وقال بعض العرب: مَنْ قَاظَ الشُّرَيْف، وتربع الحَزْن، وشتا الصمان فقد أصاب المرعى.

وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير يذكر غيثاً:

وأقام بالصمان عامةَ ليله
فكأن دارة كل جوٍ كوكب

وبالصمان أعلام مشهورة، منها خباريها التي يضرب بها المثل في سعتها وكثرة مائها وطيب نبتها، وأشهرها تسع خباري (خبراوات)، وهن اللاتي ذكرهن شاعر شعبي، حين قال:

تَملَّت خبَارِي الصلب وَيْن انت يالعَطْشَان
ثمان الخباري تَاسِعَتْهِن كحَيْلِيْلَة

وهن: الخَمّة، وأم قُرَيْن، والحاصْبِيّات، ومَعْقَلة، والعَوشزيّات، وصُفَيّة، وهُجَرِيّات، ومَغْطِيّات، وكُحَيْلِيلَة. وهذه هي أشهر خبراوات

الصمان (ابن خميس ١٤٠٠، ج٢: ٧٨-٨٠).

ومن أشهر تلك الرياض وأكبرها روضة مَعْقُلة القريبة من الشُّملول، التي تضوع منها رائحة نبات النفل لكثرته فيها، وينزل على أطرافها بعض البدو. ولعامل الإذابة في الصخور الجيرية أثر كبير في حفر هذه المنخفضات، ثم يأتي بعد ذلك عمل الرياح التي تسفي المواد المتخلفة عن التحلل.

وتختلف رياض الصَّمان هذه في نمطها عن التَّناهي، وهي الرياض الواقعة عند مفيض الأودية ومَرافضها، وتتوزع بشكل خاص عند بطون الجيلان، أي جوانبها المتدرجة الانحدار، حيث تنتهي عند هذه النطاقات مياه عدد من الأودية المنحدرة نحو الشرق. وتختلف الروضة في هذا عن القيعان التي تتوزع في تلك النطاقات نفسها، إذ يفيض في الروضة واد أو واديان على الأكثر، ثم تفضي الروضة بمياهها إما إلى سبخة أو تتسرب في الرمال التي تتعامد امتداداتها مع خط انحدار تلك الأودية. أما القاع فإنه يأسر أودية كثيرة تفيض كلها في قَرَاره ولا تخرج منه، وتعمل الكميات الكبيرة من الطمي التي تحملها تلك الأودية إلى القاع على تماسك قشرته السطحية.

وقد كان للتوزيع الجغرافي للروضات على هذا النحو أثره الكبير في توزع المراكز العمرانية واستزراع تلك الرياض؛ وهذا يفسر انتشار القرى والمدن على شكل خطوط تتوازى مع الامتدادات الطولية للجيلان شرقي القصيم. وقد أعطت هذه الظاهرة اسمها لبعض تلك المراكز، يتمثل ذلك في روضة البَسَّام وروضة مطربة والرُّوَيْضات.

ولو سرنا مع الخط الغربي، ابتداء من الطرف الشمالي لصفراء السِرْ لوجدنا أن هناك مجموعة من السباخ التي تنتشر عند حضيض جال خرطم، وبالاتجاه جنوباً نقطع مجموعة من الأودية الصغيرة حتى نصل إلى المِذْنَب وهي منطقة زراعية كبيرة. وينتشر النخيل حول شعب المذنب الذي يدخل المنطقة من الغرب. ويتصل بهذه الروضة روضة القفيفة، ويدخلها أيضاً شعب آخر هو شعب القُفَيْفَة. وبعد القفيفة يبدأ النفود بالظهور شرقي الطريق بعد أن تأخذ تكوينات جال خرطم في

الاختفاء، وإلى الجنوب من القفيفة بثلاثة كيلومترات تقريباً تشاهد روضة المصية وهي بطرف النفود، وبعدها المَفِيض وهي روضة كبيرة أيضاً، ثم المُرَبَّع وهي قرية صغيرة يدخلها ثلاثة أودية أكبرها هو الجنوبي. وشرقي المربع تظهر تكوينات أحدث من تكوينات جال خرطم تفصل صفراء السر عن النفود، ولا تلبث هذه التكوينات أن تنقطع عند القُعَيّر شرقي قرية العَمَار. ويصب في القعير واد بالاسم نفسه.

ويتتابع هذا النمط جنوب القعيّر، فيلتقي بروضة وشعب وثيلان ثم روضة مطربة ثم الجنيفة، وبها قاع صغير تقوم إلى جانبه بعض المزارع، ثم الأرطاوي، وهي قرية كبيرة ويمر بها شعب كبير، وإلى الجنوب الغربي منها توجد الفَيْضَة ثم خُرَيْسَان ثم الحَفَن ثم بلادين السكران ثم سَمْحان وأخيراً سَاجِر، وهي مدينة بها مزارع ونخيل وبها شعب عرضه حوالي خمسة عشرمترا، وقد ذكرها ياقوت ضمن الرياض. أما الجانب الغربي من صفراء السر فيخلو تماما من المراكز العمرانية، على عكس الجانب الشرقي الذي تكلمنا عنه، مما يؤكد أثر توزيع الروضات في انتشار المراكز العمرانية. وحجم العمران حول هذه الروضات أكبر مما يظهر عليه في الخرائط، بل إن تزايد العمران فيها مستمر نظراً للحركة الزراعية النشطة الناتجة عن تشجيع الحكومة للمنتجين الزراعيين.

والنمط الثالث من أنماط الروضات هو تلك الروضات التي نجدها عند حضيض بعض الجبال، ويمثلها أفضل تمثيل روضة حَسْحُوس الواقعة في

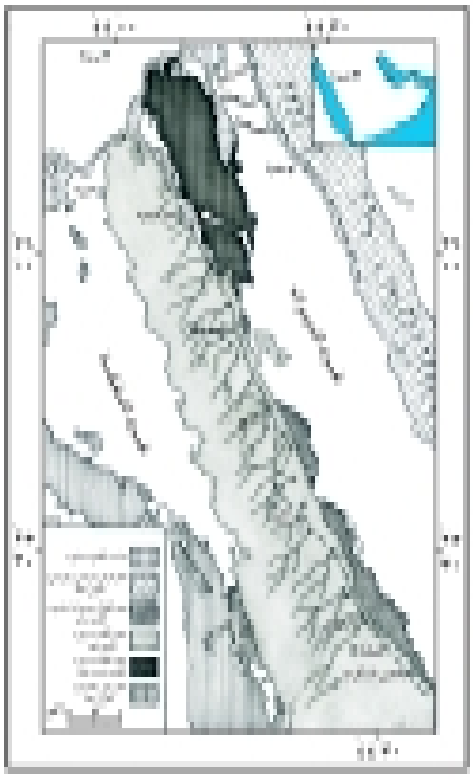

خريطة توضح العلاقة بين الروضات وتوزيع العمران

الطرف الشمالي الشرقي لكتلة شُعَبَى الجبلية، يحدها جنوباً جبل حسحوس، وشمالا صُفْران عِيدَة، وغربا جبل الحِشَّة، ويَفيضُ فيها شِعبان، شعب الرَّدهة من الجهة الجنوبية الغربية ويخرج من الناحية الشمالية الغربية، وشعب عيدة الذي يدخلها من الناحية الجنوبية الشرقية ثم يفيض من الناحية الشمالية الشرقية، وبعد أن يدور حول صفران عيدة يلتقي بشعب الردهة حيث يؤلفان شِعْباً واحداً هو وادي ثريَّان الذي ينتهي في حَجْرَة ثريَّان. ويلاحظ أن المنطقة الوسطى من الروضة مرتفعة، فلا تغمرها مياه أي من الشعبين. وفي وسط هذه الروضة بئر عمقها حوالي عشرة أمتار وهي محفورة في رواسب طمية واضحة في جوانب البئر. وهناك أمثلة أخرى للروضات من هذا النوع، منها على سبيل المثال روضة الجِرْذَاوِيَّة، وروضة سَاق، وروضة أم العمر شمال خيبر في جبال الحجاز، وروضة الخفيسة ومطربة شرق المجمعة في حضن العرمة.

ومن المعروف أن الرَّوْضَة مكان منخفض من الأرض تنصرف إليها مياه الشعاب المجاورة وتلتقي فيها من جهات متعددة ملقية ما تحمله من الطمي والرواسب المخصبة للتربة، وتسمى الرَّوْضَة أحياناً فيضة وغالباً تكون الفياض ذات غطاء نباتي كثيف مما يجعلها مقصد الرعاة والمتنزهين.

ومن الفياض المعروفة فيضة السر، وهي واقعة في منخفض سهل تحيط به من الغرب صفراء تعترض جنوباً وشمالاً، ويحف بها من الشرق برقة سهلة.

وفي أدنى الحمادة وبالقرب من القصب والحريق تقع روضة العكرشية في حضن عريق البلدان يحف بها طريق شقراء الحمادة، ويسيل بها وادي العب وصفحة جبل طويق. وإذا كثرت السيول خرج ماؤها جنوباً وصب في سبخة القصب وظل مدة يجري.

ومن أشهر الروضات روضة خريم وهي روضة كبيرة مستطيلة، وخريم نقا من أنقية الدهناء، يقع شرقيها يشرف عليها ويصب بها وادي الثمامة والمساجدي والحويشات. وتعد هذه الروضة من أكبر رياض اليمامة وأشهرها، وهي تقع في العرمة مهب الصبا من بلد رماح على مسافة خمسة عشر كيلاً منه، ورياض وادي الطوقي، أكبر أودية العرمة، وأكثرها روافد،

روضةخريم

وأخصب أودية المنطقة. وبه من الرياض روضة العمياء وروضة أبي الحليان وروضة الطافحة وغيرها.

قال ابن خميس عن فيضة التِّنْهَاة «التِّنْهَاة هذه روضة من أجمل رياض نَجْد وأخصبها وأطيبها نبتاً وأحسنها موقعاً، يدفع بها أربعة أودية من أكبر أودية العَرَمَة وأهمها. هذه الأودية تَنْصَبَّ من قمة العَرَمَة مشرقة، وتفرغ هذه الرَّوْضَة في حضن الدَّهْنَاء حيث يلتف سدرُها وتَنضبُها وطلحها وجثجاثها وشيحها وقيصومها أبد الدهر، وحيث يختلف نُوارُها، وتصدح أطيارها، ويختلط نفلها وحرفها وكرشها ورقمها وحوذانها. وكل نبت طيب بها إذا جادها الغيث وباكرها وسميه. تمتد هذه الرَّوْضَة من الشرق إلى الغرب حيث مفاجر الأودية التي تدفع بها، وتمتد حولها من الجنوب والشمال ذيول للدهناء تشكل حبالاً متطامنة وصياهد وأجارع ودكادك. يتخللها من الشمال سواق تفضي إلى رياض صغيرة تسمى الخوابي جمع خابية، وهي مستقر الماء أو الرَّوْضَة الصغيرة لا ترى إلا من قرب فكأنها مختبئة. بها ما بالروضة الأم من شجر ونبت وجمال. تمدها هذه السواقي بما

تفيـضه عليهـا مياه الرَّوْضَة، وإن هذه الخوابي وهذه السواقي وهذه الحبال الرملية تتخللها، تزيـد الروضة متعة وجمالاً. ولذا كانت منتزهاً للملك عبد العزيز آل سعود مفضلاً يقيم بها شهوراً أيام الربيع وتنبث خيامه في جوانبها ويتجمع حوله شيـوخ القبـائل ورجـال العرب بـادية وحاضره».

الجيّان. الجو منخفض تحيط به أرض مرتفعة من كل الجهات، ولا تظهر معالم الجوّ حتى الوصول إلى مشارفه. ويتميز الجوّ بتربته الرملية المحببة عند البدو أيام فصل الأمطار وكثـرة الأشجار ولطافة جوّه وقت الهبايب، وقلّة غباره وقـت الزوابع الهوائية، وكثرة منافذه ومراعيه. والجو ذو سطح مستدير يبلغ أدنى حد لطول شفته عن الشـفة المقابلة لأصغر جو كيـلاً واحداً، وأقصى حد لـطول شفة أكبر جو عن الشفة المقابلة خمسة أكيال. وللجو مستقر ماء يُسمى روضة أو فيضة في منتصفه تحتفظ بمياه الأمطار لفترة.

ومن أجواء الصمان جو أبو علندا، سمي بهذا الاسم نسبةً لنوع خاص من الأشجار دائم الخضـرة. والعلندى غير محبب لمراعي الماشية ولا يصلح لإيقاد النار. وجو قرادان سمي بهذا الاسم نسبةً للقراد الذي يؤذي الإبل لكثرته في هذا الجو.

وجوّ لبن سـمي بهذا الاسم نـسبةً لجودة حليب الإبل والماشية الـتي ترعى فيه، بسبب نوع النبات في هذا الجو الذي يعـطي لبن الماشـية مذاقاً خـاصاً. قال دعسان بن حطاب الدويش:

جعـله عـلى مـارق الى نـثّرت مـاه
حـيـثه مـربّ جـدودنـا دار اهلـنـا
ويـزّى لنـا العـرق الحمـر لين يـالاه
ويمـلى الـغـبايـا ثـم يسيّـل لـبنّـا

ومارق ضلع طويل بارز للعين ولا يحيط به شيء يماثله، أي بلهجة البادية (مرق عن غيره).

كما ورد اسم الغبايا أيضاً وهي فياض مستنقعات يكثر فيها السدر، وهن غائبات عن الأنظار حتى الاقتـراب منهن شرق الدهناء وغربي الصمان.

وجوّ الثـور سمي بهذا الاسـم لأن ثوراً مات فيه عطشاً بعد أن فقده صاحبه تاجر المـواشي في هذا الجو، وهو مـن الأجواء المشهـورة بالصمان يقع شـمال درب المنشرحة. قال الشاعر:

وجـدي علـيهـا وجد مـن قربـة له
فـي وسط جـوّ الـثور غـرّه وكـاها
اهـلـه بـعيـدٍ والـدّحـل مـا يـدلّـه
وحتـى ذلوله ما اقـضبت يوم جـاها

ما له جدا كود العبيري يهلّه
متذكّرٍ من قربته برد ماها

وجو هميدان سمي بهذا الاسم لأنه ينفرد عن غيره بنمو نبات أشجار العرفج الكثيف. وفي إحدى السنوات انقطعت الأمطار وأمحلت أرضه وتحولت الأشجار إلى هشيم يسمى بلغة البادية هميد.

وجو عويشزان (غازي سابقاً) سمي بهذا الاسم نسبةً لنمو أشجار العوشز بكثرة وهو شجر لا يقترب منه ويوحش أبناء البادية لاعتقادهم أن الجن تسكنه. قال دعسان بن حطاب الدويش:

العصر تطلع بك على جو غازي
وقامت تحايد من عياها تحزّي
أمّا تشوف من الطّوارف نوازي
والاّ سنا ضوّ المناره ينزّي

وجو نحيط سمي بهذا الاسم بسبب شخص توفي فيه اسمه نحيط. قال دعسان بن حطاب الدويش:

تحدّرت بامر الولي راعي الجود
ويالله عسى جو الغدير لها ماد
وجعله على السبقين والصلب ياسعود
تحدّه الجيان لنحيط من غاد

وجو ساقان سمي بهذا الاسم لوجود تل طويل في وسطه، وهذا التل شبهوه بساق الإنسان لهذا سمي هذا الجو بساقان. قال حنيف بن سعيدان المطيري:

علّه على قاع الغبايا نثر ماه
والى امتلى ابا الهول علوى يجونه
سال النظيم وجوّ ساقان يملاه
وعلى المنيسر ضافياتٍ ركونه

وجو سعدان سمي بهذا الاسم لكثرة نبات السعدان الشائك الملمس الذي يشبه الإبر. قال ابن ناحي:

واوجودي عليها وجد راعي مطيه
أصبحت بالنّفود وهو بجو سعداني
الظّما محرقٍ كبده نعاله رديه
والمطيه غدت وهوه بحال الشواني
وأجواء الصمان عديدة وما سبق أمثلة لها.

الدَّارَات. جمع دارة، وهي أرض منخفضة مستديرة أو شبه مستديرة تُحيط بها الجبال أو عروق الرمل أو كليهما معاً مرتفعة عن مجاري السيول لا تتخللها الأودية ويبقى سيلها بها، وتكثر في الأقاليم الجبلية القريبة من الامتدادات الرملية؛ وهي من بطون الرمل المنبتة، وقد سميت الدَّارة تشبيهاً لها بدارة القمر، وهي الهالة التي حوله. وقد لاقت الدارات اهتمام الشعراء وأصحاب المعاجم اللغوية والجغرافية فاستطردوا في وصفها واستقصاء المعروف منها، وتفاخر

المتأخرون على المتقدمين في معرفة العدد الأكبر منها.

وقد وضع في هذا الموضوع بعض الكتب والرسائل، وصل إلينا منها كتاب الدارات للأصمعي (١٢٨-٢١٦هـ) الذي حصر فيه ست عشرة دارة، ولم يكن كتاب الأصمعي مفصلاً بل كان يورد اسم الدارة ثم يتبعه بشاهد من الشعر. وممن رام جمع الدارات ابن حبيب المتوفى سنة ٢٤٥هـ وتلاه صاعد بن الحسن المتوفى سنة ٤١٩هـ. ولم يتجاوز ما ذكراه العشرين دارة (البكري ١٩٤٥، ج٢: ٥٣٣). وذكر ابن فارس المتوفى سنة ٣٩٥هـ في كتابه عن الدَّارات نحو أربعين دارة. ويبدو أن البكري لم يطَّلع على كتاب ابن فارس، فليست هناك أية إشارة إليه في معجمه. ولهذا لم يذكر سوى اثنتين وعشرين دارة معتمداً على كتابي ابن حبيب وصاعد بن الحسن، واستدرك عليهما ما أغفلاه. وأورد البكري أيضاً بعض النصوص المهمة في ضبط أسماء الدارات (البكري ١٩٤٥، ج٢: ٥٣٤-٥٣٥). أما ياقوت الحموي فقد ذكر ثمانياً وستين دارة، استخرجها من كتب العلماء المتقنة، وأشعار العرب المحكمة، وأفواه المشايخ الثقات، واستدل عليها بالأشعار حسب جهده وطاقته.

واجتمع للفيروزآبادي من أسماء الدارات ما لم يجتمع لغيره من المتقدمين، فذكر في قاموسه ما ينوف على مائة وعشر دارات. ولا ينبغي أن نسلم بصحة كل ما ذكر الفيروزآبادي إذ أن هناك تصحيفاً في بعض أسماء الدارات لم يُنَبِّه عليه، فيذكر الاسمين معا، فمثلا دارة أُجُد مُصَحَّفَة عن أَجَأ وهي نفسها دارة بُحْتُر الواقعة وسط جبل أجأ. وكذلك دارة بَاسِل مصحفة عن مَأْسَل وصُلْصُل عن جُلْجُل، والغُبَيْر عن العمير وغير ذلك. وقد أحس بذلك الزَّبيدي شارح القاموس ويظهر ذلك من قوله عند التعرض للدارات «على اختلاف في بعضها» (الزبيدي ١٣٠٧، ج٣: ٢١٢). وفي العصر الحديث أسهم ثلاثة من الباحثين في الكتابة عن الدارات، توجه جهدهم لحصر وتحديد مواضعها الواردة في كتب الأقدمين. وقد بدأ الموضوع عبد الله عسيلان في مجلة العرب (عسيلان ١٣٨٩، م٤: ١١-١٦؛ ١٢٨-١٤٦) فحاول في بحثه تعريف الدارة وبيان قيمة دراستها الأدبية والجغرافية والتاريخية، ثم أورد ما يقرب من ثمانين دارة استخرجها من كتب الأقدمين دون أن يتوغل في تحديد مواضعها. وتكلم في ختام بحثه عن

كتب الدارات، وما ورد عنها في كتابي البكري وياقوت وفي أسفار العرب. والباحث الثاني هو حمد الجاسر الذي حدد مواقع الدارات إتماماً لما كتبه عبد الله عسيلان. وقد حصرها في مائة وستة مواضع، ويقل هذا العدد إذا ما أخذنا في الاعتبار الأسماء المصحفة عن أخرى. ثم جاء سعد بن جنيدل، فتناول بالنقد مقالتي حمد الجاسر وعبد الله عسيلان، وبيّن أن الدارة تكوين طبيعي ثابت لا يزيد عددها ولا ينقص، وأن عدد الدارات متعلق بما وجد منها غير خاضع للتقديرات (ابن جنيدل ١٩٧١، م٥: ٩٠٦). وفي هذا تأكيد أن الدارة ظاهرة طبيعية يمكن توزيعها جغرافيا، ثم استطرد في التعقيب على تحديد مواضع الدارات كما وردت في مقالات الجاسر.

ويستفاد من بحث ابن جنيدل أنه كتب ما كتبه عن معرفة ومشاهدة، فجاء حديثه عنها دقيقا، فإذا ما أضفنا إليه ما ورد في مقالات الجاسر أمكن أن نخرج بتحديد جغرافي دقيق لكثير من الدارات المذكورة في المصادر القديمة. وقد بَيَّن الجاسر سبب احتفال الشعر القديم بذكر الدارات؛ فيقال إن القوم يتخذونها منزلا لهم لاتصافها بكل الصفات الملائمة للمنزل، فهي لينة سهلة لمبارك الإبل ولمرابض الغنم ولجلوس القوم ثم هي مرتفعة عن مجاري السيول، محاطة بتلال أو جبال تحمي من الرياح في الغالب، ولخصوبة أرضها، فهي مرتع للبهم والغنم وملعب للصبي، وهي في الوقت نفسه تتسع لأكبر عدد من بيوت الحي (الجاسر ١٣٨٩، م٤: ١).

وهناك عدة أشكال للدارة، ولهذا جاء تعريف القدماء متبايناً بتباين تلك الأشكال، وسنعرض هنا لأهم تلك التعريفات مع بعض الأمثلة التطبيقية على كل نوع من الأنواع المذكورة:

قال الأصمعي: والدارة ما اتسع من الأرض وأحاطت به الجبال، غَلُظ أو سَهُل، يقال دَارٌ ودَارَةٌ وأَدْوُرٌ ودَارَات (الأصمعي ١٩١٤: ٥)، ونحو هذا قوله «الدارة جَوْبَة تحفها الجبال والجمع دارات» (البكري ١٩٤٥، ج٢: ٥٣٣)، وفي اللسان عنه أيضاً أن الدارة الجوبة الواسعة تحفها الجبال. وقال ياقوت «الدارة في أصل كلام العرب كل جوبة من جبال، في حَزْن كان ذلك أو سهل».

وينطبق تعريف الأصمعي المتقدم على إحدى دارات شُعَبَى المسماة اليوم

بدارة ثُرَيَّان غربي كتلة شُعَبى وتحدها من معظم نواحيها جبال صُفْرَان ثريان أو عُمْدَان ثريَّان تشبيها لها بالأعمدة لعلوها. وأسفل تلك الجبال من جهة الشمال بعض الأبارق، وبها فرجة من الشرق حيث يدخلها شعب النجفة. وتنفتح من جهة الغرب نحو حَجْرة ثريان التي يحدها غرباً عُرَيق الدسم (نفود العريق). وينمو في هذه الدارة الرِّمث والسَّمُر والطَّلُح، وبها بئر تدعى ثريان ومزرعة صغيرة. وقد أشار ابن جنيدل إلى أن بعض البدو يسميها حَجْرَة ثريان. والواقع أن هذا يطلق على المنطقة الواقعة بين نفود العريق وبين شُعَبى وهي شبيهة بالدارة إلا أنها أكثر اتساعا وأقل خصوبة من الدَّارة، وسُمِّيت الحَجْرة لأنها تَحْجُر السيول القادمة إليها من المشرق. وربما يعود سبب تسميتها بالدارة عند بعض البدو لقربها من الدارة المعروفة بذلك الاسم. ويرى ابن جنيدل أن وصف الأصمعي ينطبق أيضاً على دارة دَمْخ الواقعة في ناحيته الغربية الشمالية، فيما بين ناصفة دمخ وماء الفيضة، وينطبق أيضاً على دارة ثَهْلان الواقعة في ناحيته الجنوبية فيما بين المريصيص من الشمال وماء دلعة من الجنوب، وينطبق أيضا على دارة جُلْجُل الواقعة في وسط جبال الهَضب الأسمر المعروفة حاليا باسم روضة جَلاجِل في جبال جَلاجِل (ابن جنيدل ١٩٧١، م٥: ٤: ٩٠).

وفي تعريف آخر للأصمعي: أن الدارة رمل مستدير قدر ميلين تحفه الجبال (البكري ١٩٤٥، ج٢: ٥٣٣)، وقال أيضاً «الدارة رمل مستدير في وسطه فَجْوة. وإلى مثل هذا ذهب الهجري بقوله «الدَّارةُ النَّبْكَة السَّهْلة حَفَّتها جبال، مقدار الدارة خمسة أميال في مثلها» (الجاسر ١٩٦٨: ٣٨١-٣٨٢). وهذه التعريفات كلها متقاربة وتشير إلى دخول عنصر الرمل في تشكيل الدارة. وهذا التعريف لا يتعارض مع التعريف السابق، إذ كثيراً ما تكون الدارة هناك محفوفة بالأبارق أو منفتحة نحو الرمل، كما هو الحال في دارة ثريان. وبالإضافة إلى ذلك فإن أرض الدارة في الغالب أرض رملية سهلة. وعن جعفر بن سليمان «إذا رأيت دارات الحِمَى ذكرت الجنة، رِمَالٌ كَافُورية» (البكري ١٩٤٥، ج٢: ٥٣٢). وينطبق هذا التعريف على كثير من الدارات، وبخاصة دارات الحمى إذ تقع في النطاق الجنوبي، الواقع بين عريق الدسم، نفود العريق

والكتل الجبلية الواقعة إلى الشرق منه، مناطق كثيرة تنطبق عليها أوصاف الدارة، اشتهر منها دارتا عَسْعَس ووسَط. وعسعس الذي تنسب إليه الدارة جبل كبير إلى الجنوب من ضَرِيَّة، يُرى رأي العين منها، قال عنه الهَجَري «وعَسْعَس جبل أحمر مجتمع عال في السَّماء، لا يشبهه شيء من جبال الحمى، هيئته كهيئة الرجل، فمن رآه من المصعدين حسب خلقته خلقة رجل قاعد، له رأس ومَنْكِبَان». قال الشاعر «إلى عَسْعَس ذِي المَنْكِبَيْن وذي الرَّأسِ».

وتقع الدارة عند سفح جبل عسعس الجنوبي، وتستدير بها الرمال من جهة الجنوب والشرق، وتشاهد بعض الأبارق من الجهة الشمالية الشرقية. وتنتشر في هذه الدارات نباتات الثُّمام والعَرْفج والعَضِيد والسَّلَم. وإذا ما جعل المرء الجبل خلف ظهره وامتد ببصره نحو الجوانب الأخرى من الدارة تبدو له استدارة الرمال ولونها المغاير للون سطحها أشبه ما تكون بدارة القمر، وهي الهالة التي حوله، ولعل تسمية الدارات جاءت من هذا التشابه، وبقرب عسعس من جهة الغرب جبل وَسَط، قال الهَجَري: وبناحيته اليسرى دارة من دارات الحمى، كريمة مِنْبات واسعة نحو ثلاثة أميال في ميل. قال: وهذه الدارة بين وسط وجبل آخر يقال له عسعس (الجاسر ١٩٦٨: ٢٥٧-٢٥٨). وعند جبل وسط دارتان: الأولى، وهي التي أشار إليها الهَجَري، تقع غربي دارة عسعس، وتقع الثانية إلى الغرب منها، يحيط بها الرمل (عُرِيق الدسم) من ناحيتها الغربية، ومن الشمال الشرقي جبل وسط، ويفصلها عن الدارة الشرقية حَزْم مرتفع من الأرض، وتتجمع مياهها في ركنها الغربي حيث يكثر حولها نبات النَّصِيّ والجَثْجَاث، إذ إن الثُّمام هو الغالب في بقية أجزاء الدارة. وبالاتجاه نحو الشمال الشرقي، بمحاذاة عريق الدسم (نفود العريق) نشاهد أيضاً في كتلة جبال شُعَبى دارتان، هما دارة القَطَار ودارة شُعَبى، وهما منفتحتان غرباً نحو الرمال. وليس هناك تعارض بين قول الأصمعي والهجري فيما يتعلق بمساحة الدارة وامتدادها، إذ إن ذلك أمر نسبي ويختلف من دارة إلى أخرى.

وهناك كثير من الدارات التي كانت معروفة قديماً أصبحت تسمى منزلة ونوع آخر منها يسمى محامة.

وقد فرق أبو حنيفة بين الجوبة والدارة، فذكر أن الجوبة هي المكان

المُنْـجَاب الوطيء مـن الأرض القليـل الشجر مثل الغَائط المستدير. ولا يكون في رمل ولا جبَل إنما يكون في أجلاد الأرض ورحابها، سُمِّي جَوْبة لانْجِياب الشجر عنها والجمع جَوْبات. ثم عَرَّف الدارة في مكان آخر بأنها لا تكون إلا من بطون الرمل المُنْبَتَة. وأبو حنيفة هنا قد زاد كلام الأصمعي إيضاحاً وأضاف إليه اقتـران النبات بالدارة. وقـد علق ابن جنيدل على قول أبي حنيفة بقوله إن ذلك ينطبق على دارة رمحة الواقعة في نفيِّـد رمحة غربي صحراء الحُـمَيّ (تصغير حِمَى) وينطبق على دارة البشارة (ابـن جنـيـدل ١٩٧٢، م٦: ٩٠٥). والواقع أن ذلـك ينطبـق على معـظم الدارات.

وتأخذ الدارة شكل الأريكة حيث تتـركب مـن ظهـر شديد الانـحدار وذراعين تحصران بيـنهما حوضاً شبه مستوٍ تحده الكثبان الرمليـة. ويقع في أحد جوانبها منخفض تصب فيه سيول الدارة.

ومن خلال الدراسة الميدانية للدارات الواقعة في جنوب شرقي نفود العريق، وبالذات دارة عـسعس ودارتا وسط، يظهر أن هـناك عاملين يتضـافران في تشكيل تلك الدارات، أولهما السيول التي تنحدر فوق السفوح الجنوبية لجبلي عسـعس ووسط، وثـانيـهما الـرياح الشمالية الغربية التي تسفي رمال نفود العريق نـحو السفوح الجنوبيـة لهذين الجبلين، وبخاصة أن هناك قطاعات من الرمـال المتحركـة تتركـز في الجنوب الشرقي من هـذا النفود. واستطاعت المسيلات المنحدرة من هذين الجبلين أن تحول بين الأجزاء الوسطى من الرمال والوصول إلـى سفوح الجبـل، بينمـا نجحت أطرافها في الوصول إلى أطرافه، أو ذراعي الأريكة، فكونت الأبارق التي نشاهدها هناك. وساعد على تثبيت هذا الوضع تتابع هذه الظروف، مع تكون بعـض المنـخفضـات الصـغيرة عـند حضيض الكثبان المواجهة للجبل، ونمو بعض النباتات التي تساعد على تثبيت تلك الرمال. إلا أن ذلك لم يمنع سفي كميات مـن الرمال إلى ذلك الحوض أدت إلى تسويته وتغطيته بطبقـة رملية لينة تتيح نمو كثير من النباتات فيه وقت الربيع.

أما النوع الآخـر من الدارات الذي سبق تمثيله بدارة ثريان، واستدارة الجبال فيها شبه كاملة، فإن السبب، فيما يبدو، هو استقطاب أحد الأودية للمسايل الجبلية وسحب الرواسب التـي تتركها في قاع

خريطة توزيع الدّارات في إقليم القصيم

ذلك المنـخفض، وبذلـك تعمل تـلك المسـايل على تـراجع الحافات الجـبلية وتوسيع الحوض الجبلي أو الدارة. وهناك مثال شبيه لهذا، ولكن في نطاق الصخور الجيرية، وهو سهل البَقْعَة الأردني، وهو منـخفض حَتِّـيّ أدى إلى تقويـر القبـة الالتوائية بفعل عمليات النحت ونشاطها ثم احتوى وادي أم الدنانير –وهو أحـد روافد وادي الزرقا– مسايل المنخفض مما أدى إلى توسيعه.

ودارة جلاجل تقع قرب ماء قديم يعرف بهذا الاسم، في المجامع في هضب الدواسر الأسمر، يحف به جبل سمر من الـغرب وماء الطيري جنوباً منـه، والسريف شرقاً منه، وماء ثريا شمالاً منه، وهو في أعلى وادي سمر في جانبه الأيسر. وتقع الدارة عن الماء شمالاً شرقيـاً، وهي دارة واسعة محفوفة بالجبال من نواحيها المختلفة.

وقد اختلـف أصحاب المعاجم في تحديد هذه الدارة اختلافاً كبيراً. فمنهم من قال إنها في الحمى، ومنهم من قال هي في بلاد كندة.

قال ياقوت: دارة جلجل. قال ابن السكيت في تفسير قول امرىء القيس:

ألا رب يـوم لـك مـنـهن صـالـح
ولا سـيـمـا يـوم بـدارة جـلـجـل

قال: دارة جلجـل بالحمى، ويقال بغمرة ذي كندة، وقال محمد بن بليهد: دارة جلجل التي عناها امرؤ القيس باقية إلى اليوم في بطن الهضب تقع في جبهته الجنوبية الشـرقية، ويقال لها اليوم دارة جلاجل وهو الموضع الـذي عناه عمرو بن الخثارم البجلي بقوله:

وكـنـا كـأنـا أسـد دارة جـلـجـل
مـدلٍّ عـلـى أشـبـالـه يـتـهـمـهـم

وهي دارة عظيمة تحيط بها هضاب باقـية عـلـى هذا الاسـم (ابن جـنيدل ١٣٩٩، ج٢: ٤٩٦-٤٩٧). ومـن الدارات المشهورة في المنطقة الجنوبية دارة المريخ غرب جبل صدا.

المحـامات. المحـامة: مـن الحوم، والمحامة جوبة غالباً ما تكون في فياض الأودية الكبيرة، ويكثر فيها النبات مثل الرمث والهضيد والـثمام. وتكون مقراً للسيول أو مداراً لها، فكأن ماء السيول بدورانه فيها يحوم فـي أرجائها يلتمس طريقاً للـخروج، وبعضها عند امتـلائه تفـضي سـيولـه إلى محـامة أخـرى. ومستوى المياه فيها منخفض لأنها غالـباً واسعة وبـطونها مسـتوية (ابن جـنيدل ١٣٩٩ ج٣: ١١٥٠).

ومن المحامات: محامة ابن زريبة، محامـة مشهورة تقع بـين الجثوم وبين الحمة شـمالاً من بلدة عـفيف شمالاً غربياً، حافاً بها من الغرب حمة صغيرة سوداء. ونسبت إلى ابن زريبـة مناحي بن جدي بن زريبة الروقي الـذي ابتنى فيها هجرة له وسكنها فترة من الزمن ثم ارتحل عنهـا، وتبعد عن عفيف أربـعة وثمانين كيلاً.

ومحامـة اليبَّس بـين هجرة الحسو وهجرة بلغة في بلاد مطير بني عبدالله، تبعد عن هجرة الحسو شمالاً ستة عشر كيلاً، وقد أسس فيها الـيبس من مطير هجرة لهم واستقروا فيها فنسبت إليهم، وهي تابعة لإمارة المدينة المنورة.

ومحامة الـصلح فيها مـورد لقبيلة العوازم من الروقة، تقع شمالاً غربياً من بلدة عفيف على بعد ثمانين كيلاً.

ومـحامـة عسـعس بـقرب جـبل عسعس، فيها مورد ماء لقـبيلة الغبيَّات الروقة من عتيـبة تبعد عن بلدة عفيـف ثلاثة وثمانين كيلاً (ابن جنيدل ١٣٩٩، ج٣: ١١٥١).

الهبج. تطلـق البادية هذا المصطلح على الأرض المنخفضة عما حولها مثل الهوبجة التي تقع إلى الشـمال من بلدة أشيقر.

المظاهر الساحلية

الشُّرومُ والأخْوار. تزخر سواحل البحر الأحمر بالفتحات المدخلية الساحلية على شاطئيه الشرقي والغربي، وهي من الظواهر الملفتة للنظر ليس لكثرة أعدادها فحسب وانما لتنوعها وتعدد الأشكال المصاحبة لها. وتتخذ هذه الفتحات أسماء محلية مختلفة كالشَّرْمِ والخُورِ والمَرْسىَ، إضافة إلى فتحات كثيرة لبحيرات ساحلية لا تظهر أسماؤها على الخرائط المستخدمة.

وقد تبين من خلال عملية الحصر التي تمت لأعداد الفتحات المدخلية الساحلية على الساحل الشرقي للبحر الأحمر وأسمائها، اعتمادا على الخرائط الطبوغرافية والجيولوجية ذات المقياس ١ : ٠٠٠ , ٢٥٠، أن هناك أكثر من ٥٧ فتحة مدخلية ساحلية سميت بأسماء مختلفة. منها ٢٢ شَرْماً و ١٠ خِيْرَانٍ و٥ مراس. إضافة إلى فتحات عديدة ظهرت على الخرائط السابقة من دون أسماء. وتجدر الإشارة إلى أن الفتحات الساحلية المذكورة قد يتضاعف عددها على خرائط بمقاييس أكبر.

ولهذه الفتحات أسماء مختلفة. فالشَّرْمْ لغة: لُجَّةُ البَحْرِ أو الخليج منه، أما اصطلاحاً فالشَّرْمُ، وجمعها شُرُومْ هي: خلجان تشبه الرِّيا، ولكنها أصغر وأضيق من الأخيرة. أما الخُورُ لغة فهو المُنْخَفِضُ من الأرض، والخَليجُ من البَحْرِ

أحد الشّروم بجزيرة فرسان

ومَصَبُ المـاءِ في البحر. واصطـلاحاً: الخور واد تغمره مياه البحر عند المصب. أو هو خلِّيج صغير. ويطلق مَرْسَى على المرفأ الفسيح الذي تحتمي فيه السفن من أمواج البحر لـوجود حواجز من الجزر والشعاب المرجانية وغير ذلك.

وتختـلف مدلولات هـذه الأسماء شكليـاً في الوقت الحاضر على الـرغم مما يـراه بعض النـاس بأنها قـد نشأت بطريقة واحدة، ولا يختلف بعضها كثيراً عن بعض. وقد كان لتعدد معاني الخور لغة واصـطلاحاً أن أطلق مـحلياً على فتحات ساحلية، كثيراً ما تكون مختلفة من حـيث الشـكل. ولا شـك في أن انتشارها السائد فـي القسم الجنوبي من السهـل الساحلـي للبحر الأحـمر دون القسم الـشمالي، يشكل ظاهـرة ملفتة للنـظر لأول وهلة. ولـكن سرعان ما تتضح أسباب ذلك إذا عرف ما تعرض له القسمان الشمالي والجنوبي من ظروف بيـئية مخـتلفـة منذ نـشأت الفتـحات الساحلية عليها في عصر البلايستوسين.

وقد تجـمعت أدلة مـتعددة تـرجح تعريف الخور بأنه مصب الماء في البحر، أو أنه واد تغمره مياه البحر عند المصب، وهو بهذا يقـترب من مصطلح المصـب الخليجي. أما المَرْسَى فهو، كما يتـضح من اسمه، فتحة سـاحلية تؤدي وظيفة بشرية، وقـد لا يختلف عن الـشرم أو الخور في نشأته، إلا أنـه قد ينشأ أيضاً

مرسى بجزيرة فرسان

خور القنفذة

من تعاريج في خط الساحل سواء أَنَشَأَتْ هذه التعاريج بالتعرية أم نشأت باطنياً (تكتونياً) أم نشأت بحواجز أم أطر مرجانية غارقة.

وتتوزع الشروم على الساحل الشرقي للبحر الأحمر من شمال مدينة جدة جنوباً حتى خليج العقبة شمالاً. وبمعنى آخر من شرم أَبْحُر جنوباً عند دائرة العرض ٤١َ ٢٨ْ، إلى شَرْم ضَبَة شمالاً عند دائرة العرض ١٦َ ٢٨ْ. ومن الملاحظ ازدياد أعداد الشروم كلما اتجهنا شمالاً حتى تصل إلى أعلى كثافة لها بين شرم الوجه والمويلح. وتكاد تعطي الشروم لهذه المنطقة من الساحل مظهرا شكلياً مميزاً.

وتتنوع الشروم بطول الساحل، ويشمل هذا التنوع أطوالها وأشكالها واتساعها والمنطقة التي نشأت فيها. وقد ساهم في هذا التنوع عوامل عديدة، منها نحتية وأخرى بنيوية. ومن الشروم التي تمثل النماذج المختلفة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر وهي من الشمال إلى الجنوب على النحو التالي: شروم الحَرِّ والبَدْو وجُبَّة، ثم شروم ضِبَاءْ، وأخيراً شرم أَبْحُر.

وتقع شروم الحر والبدو وجبة على بعد ٨كم إلى الجنوب من قرية المُوِيلحْ، ولا يفصل بين أبعدها شمالاً، وهو شرم الحرِّ، عن أقصاها جنوباً، وهو شرم جبة، أكثر من ٦كم. وتتخذ هذه الشروم

أشكالاً متشابهة تقريباً. حيث تبدأ بفتحة عمودية على الساحل تماما تتفرع في الداخل إلى فرعين موازيين للساحل تقريباً، وتكاد تتساوى الأبعاد المتعامدة على الساحل مع تلك الموازية للساحل، وهي غالباً ما تتراوح بين نصف كيلو متر، كما في شرم البدو وهو أصغرها، وكيلو متر ونصف في شرمي الحر وجبة. وتشترك الشروم الثلاثة في كون فتحة الشرم المتعامدة على الساحل قد تكونت ضمن الشعاب المرجانية البلايستوسينية، بينما تكونت الأفرع الموازية للساحل ضمن تكوين رغامة الثلاثي. ويصب في كل شرم منها واد متعمق، حيث تشير الجروف أو السفوح المنحدرة بشدة نحو بطون الأودية إلى أنها متعمقة نتيجة لحت رأسي ناجم عن هبوط في مستوى الأساس (البحر). ويستمر تعمق الأودية في الشروم نفسها، وتشير خطوط تساوي الأعماق إلى ذلك، كما تشير الجروف القائمة على جوانب هذه الشروم (يصل أقصاها أكثر من ٤٠م) إلى هذا التعمق أيضا. ويتضح من الدراسة الميدانية وجود مدرجات بحرية على جانبي كل شرم، يختلف أعدادها من شرم إلى آخر. ففي شرم الحر ستة مدرجات موازية لخط الساحل يقطعها الشرم جميعها. أما السواحل الجرفية الداخلية للشرم في المناطق التي تقترب فيها الجبال من خط الساحل فلا تظهر هذه المدرجات باستثناء المدرج ٣ الذي يظهر في الجوانب الجنوبية للشرم المكونة من الحجر الجيري الشعابي والذي يمكن تمييزه بسهولة عن تكوين رغامة.

ومما يميز شرم الحر عن شرمي البدو وجبة دلتا تنشط عند حدوث جريان في الوادي عقب زخات المطر النادرة في هذه المنطقة. أما شرم البدو الأقل مساحة من سابقه فقد قطع مدرجين بحريين تشكلا ضمن صخور الحجر الجيري الشعابي البلايستوسيني الموازي للساحل. ويصب في هذا الشرم إضافة إلى الوادي الرئيسي واديان آخران تاليان شق كل منهما مجراه عند مكاشف الطبقات الفاصلة بين تكوين رغامة والحجر الجيري الشعابي. ولعل ما يميز هذا الشرم أيضاً اتساع النطاق الساحلي المَدّي وطين السباخ الذي يحيط بالنطاق السابق. وعلى الأطراف الداخلية للشرم أطر مرجانية على سواحل البحر أمام فتحة الشرم.

وشرم جبة لا يختلف كثيراً عن شرم الحر في شكله أو سعته، إلا أنه يتميز بميزة هامة عن غيره هي وجود صخور الحجر الجيري الشعابي البلايستوسيني

داخله، مكـونة لمعظم الجانب الجـنوبي للشرم. ونـظراً لزيادة عمق هذا الشـرم عن غيـره من شروم المنطـقة ٦٣م فقد حولته المؤسسة العامة للموانئ إلى ميناء يسمى ميناء ضبا.

أما شروم منطقة ضبا فيقع أحدها، وهو شَرْمُ رأس ضَـحِكَانْ شمـال ضبا بكيـلومتريـن، بينمـا يقع الثـاني إلى الجنوب مـن ضبا بثلاثة كـيلومترات. أما الأخير فهـو شرم المدينة المذكورة. وتتشابه الشروم الثلاثة تشابهاً كبيراً في شكلها وأبعـادها فلا يزيد طولها على ١٠٠ – ٢٠٠م، بينما يقل اتساعها عن ذلك. وقد تشكلت هذه الشروم شمال ضبا وجـنوبها ضـمن صخور الحـجر الجيري الشعابي، بينما تشكل شرم ضبا ضـمن كـل من الـصخـور السـابقـة ورواسب المدرجات الحصوية التي يرجح أنهـا تغطـي تكـوين رغامـة في هذه المنطقة. وترتبط جميع الشروم السابقة بأودية تصـلها من الظهـير، وربما كان شرم ضبا ووادیـه أكثرها أهميـة. فقد اختـرق هذا الـوادي الأطر الشـعابيـة الثلاثية، إضافة إلى المدرجات الحصوية البلايستوسينية لينتهي في الشرم المذكور. ولا تزال الفجـوات الساحلية المرفوعـة الدالة على منسـوب المدرج (٣م) على الطرف الشمالي للشرم، بينما لم تلاحظ أي أطر مرجـانية نامية عـلى الجوانب الداخلية له.

ويقع شرم أُبْحُرْ إلى الشمال مباشرة من مطار الملك عبد العزيز الدولي بمدينة جدة ويزيد طوله على ٩كم، فهو أطول الشروم عـلى الساحل الـشرقي للبـحر الأحمر. أما عرضه فيتراوح بين أقل من نصف كيلو متر، عند فتحته على البحر الأحمر، إلى أكثر من كيلومتر ونصف في الداخل. ويتخذ الشرم شكلاً ملتوياً شبيـهاً بالمنـعطفات النـهرية، تحيـط به الجروف المقوضة بشدة من الجانبين. وفي بعـض المواقـع، حيـث تخـتفي هـذه الجروف، تتشكل سباخ تمتد بعمـق إلى الشمال وإلى الجنوب من الشرم، وأيضاً نحو الشمال الشرقـي حيث مصب نهر الكراع فيه. وهناك أطر مرجانية حديثة نامـية قرب فتـحة الشـرم على البـحر الأحمر.

وتكثر على سـاحل الخليج العربي الأخوار وتسميها العامة خيران. ومنهـا الخور، أرض واقعة عـلى الساحل من جنوبي رأس الزور بنحو ٣–٤ أكيال وتمتد جنوباً بـضعة أكيال. وفي هـذه البقعة خوران، أحدهما الشمالي ويدعى خور العما ولا تستطيع القوارب الدخول فيه،

والآخر الجنوبي ويسمى الخور المفتح، وهو مفتوح وتتردد عليه قوارب الصيد، وبين الخورين تل يبعد عن البحر نحو ٣كم يدعى بناية. وفي أرض الخور آبار تدعى جهنمية ماؤها ضارب إلى الملوحة، وبالقرب من تل بناية مملحة، ويدعى هذا التل بناية الخور لتمييزه عن بناية الزور وبناية الدشت في الاتجاه الشمالي.

ومثل الخور الدوحة، وهي رأس عريض من البحر داخل في البر. والدوحات في الخليج العربي كثيرة وفي أزمان الغوص للبحث عن اللؤلؤ كانت ترسو بها سفن الغوص وينزل أصحابها في شواطئها في فترات من الزمن، أما الآن فقد أصبحت لا جدوى لها. ومن تلك الدوحات:

دوحة بلبول: وتقع بين زور بلبول جنوباً وزور سليق شمالاً. ودوحة بلبول خليج ومكان لرسو السفن على بعد ٣٢كم إلى الشمال الغربي من خليج المسلمية في منطقة السودة. وكان يقام فيها ما يشبه السوق من إبريل إلى يونيو، وفيه يقايض البدو المحليون دهنهم بالأرز والتمور من القطيف، وليس هناك منازل، ويتم الحصول على الماء الرديء من الآبار التي لا يدوم ماؤها. وبلبول موصولة من الجنوب برأس آخر اسمه دوحة بليبل.

دوحة رحوم: خليج ضخم ضحل في ساحل الحسا ويقع في البياض بين القطيف وميناء العقير. وتمتد تلال رملية على طول الجانب الجنوبي تسمى تل الزينات، وغربي هذه التلال في جهة جنوب غرب ركن الخليج رمال مرتفعة تعرف باسم نقا المحارف.

دوحة سلوى: خليج كبير يكوّن الطرف الجنوبي لما يمكن أن يسمى بخليج البحرين. وعلى الشاطىء الشرقي للخليج نخل قليل للبدو، وآبار مياهها قليلة الأهمية، ولإحدى المزارع المهجورة الآن ينبوع صغير من الماء ينحدر إلى البحر ويقصده بنو هاجر. ويمر الطريق بين الهفوف والدوحة بالقرب من دوحة سلوى.

دوحة السيح: جنوب ميناء الخبر، وفي جانبها الشمالي الشرقي ميناء العزيزية وفي طرفها الشمالي قرية السيح (الجاسر ١٤٠٠، ج٢: ٧١١-٧١٤).

الرؤوس. الرأس: طرف من البر داخل في البحر، ويسميه سكان شرق الجزيرة بالحد مثل حد المشعاب (الجاسر ١٤٠٠، ج٢: ٤٨٠). وعلى الساحل الشرقي للمملكة رؤوس كثيرة، منها:

رأس تنورة: رأس ممتد من البر نحو الجنوب في خليج تاروت داخل في البحر، وكان مرسى للسفن الشراعية شمال القطيف، وكانت له شهرة أزمان الغوص. ثم بعد اكتشاف النفط في الظهران وما حوله أصبح الميناء الأول لنقل النفط إلى الخارج، وأنشئت هناك مدينة رحيمة وفيها معامل للنفط.

رأس الخفجي: شمال رأس المشعاب، وجنوب رأس الزور بقرب ميناء سعود قريباً من الحدود الكويتية. وقد اتخذته شركة الزيت العربية اليابانية مقراً لها. وبعد اكتشاف النفط نشأت بقربه بلدة كبيرة.

وعرف رأس السفانية أيام ازدهار الغوص، وكان ميناؤه من أشهر الموانىء في ذلك العهد، وكان يعرف أيضاً باسم رأس النعامة. وهناك عدد من الآبار قريبة من هذا الرأس على الجانب الشمالي. وقد أصبحت السفانية بلدة بعد العثور على النفط بقربها (الجاسر ١٤٠٠، ج٢: ٧٣١-٧٣٦).

وقد يطلق الخشم في شرق الجزيرة على الطرف الممتد من البر في البحر، أي الرأس، مثل خشم الأقطة، وخشم الزينة، وخشم أم حويض، وكلها في ساحل دوحة سلوى (الجاسر ١٤٠٠، ج٢: ٦١١).

أما الحالة فتطلق في شرق الجزيرة على الأرض الواقعة قرب المرسى والتي قد يغمرها البحر أثناء المد، ولكن السفن ترسو بجوانبها، مثل حالة رأس الخط جنوب رأس السفانية، وحالة المشعاب وهي جزئياً رملية مستطيلة الشكل في طرف رأس المشعاب. (الجاسر ١٤٠٠، ج٢: ٤٦٩). وقد يسمى الرأس أحياناً الزور مثل: زور بلبول وزور سليق وزور لوزان.

العدان. تطلق الكلمة على ساحل البحر والنهر، وهذا هو الأصل اللغوي للكلمة، ثم أصبحت علماً لأرض واسعة تسمى بر العدان.

يطلق البحارة أحياناً العدان على كل المنطقة الساحلية الواقعة بين الكويت والقطيف في شرق شبه الجزيرة العربية، ولا يعني لفظ عدان بالنسبة للبدو وسكان الكويت كذلك، سوى المنطقة الصغيرة القريبة من الكويت.

ويتكون الشاطىء بين الكويت والقطيف من صحراء حجرية رملية منخفضة، بها بعض بساتين النخيل التي يملكها البدو في أماكن متفرقة، وبها بعض التلال المتباعدة. وصخور ممتدة على طول المنطقة المواجهة للبحر، تفصلها بعض المسالك عن اليابسة في

بعض الأماكن. ويتكون قاع البحر في أماكن كثيرة من الطين الأبيض. ولذا فإن مياه هذا الجزء أقل صفاء من المياه التي تليها جنوباً، ويقل عدد مغاصات اللؤلؤ على هذا الساحل (الجاسر ١٤٠١، ج٣: ١١٣٩-١١٤٠).

ويطلق الخط على كل سيف عند بعض علماء اللغة، ثم كثر إطلاقه على سيف البحرين لشهرته عند العرب. أما مدينة الخط فيقصد بها في أخبار السابقين وأشعارهم القطيف (الجاسر ١٤٠٠، ج٢: ٦١٢-٦١٤).

المدرجات البحرية والنهرية. هي مُسَطَّحات مرفوعة متدرجة بعضها فوق البعض، وقد تكون مدرجاتها قريبة من بعضها أو بعيدة حسب تضاريس المنطقة الموجودة فيها. والمدرجات البحرية عادة قريبة من السواحل موازية لها، وهو أمر ناجم عن أن هذه المدرجات تمثل مستويات سابقة للبحر، وخطوطاً للسواحل السابقة على الساحل الحالي.

أما المدرجات النهرية فهي على جوانب مجاري الأودية الحالية، على كلا الجانبين أو على أحدهما. وتتميز المدرجات النهرية بتقارب بعضها من بعض غالباً، وتعلو بعضها بعضاً في مسافة قصيرة نظراً لأنها قد تشكلت ضمن الرواسب التي رسّبها الوادي أصلاً في فترات سابقة. ومن ثم فالمدرجات النهرية هي قيعان قديمة للأنهار أو للأودية، برزت على جانبي الوادي نتيجة لتعمقه في مجراه، ولنحته قاعه وتتكون من الحصى والطين والرمال. وبمتابعة ظهور المدرجات البحرية والنهرية على ساحل تهامة من الشمال صوب الجنوب، يُشاهد ظهور مصاطب بحرية متقطعة في ساحل خليج العقبة تبدو غالباً تلالا مسطحة القمة، تتكون من بقايا شعاب مرجانية مرفوعة. وقد تعرضت هذه المصاطب لعمليات التعرية بكثافة. وتتركز هذه المصاطب إلى الشمال والجنوب من مصب وادي الحَمْضَة على صخور رملية. وهناك مصطبة نهرية قديمة إلى الشرق، مباشرة من مَقْنَا مكونة من الحصى والجلاميد تتوزع في موقعين: يصل ارتفاع المصطبة في الأول إلى ٢٠م وفي الثاني إلى ٣٠م فوق قاع الوادي، وهو محدد بصدع من الجهة الجنوبية ومع ذلك فإن الصلة بين الموقعين واضحة من خلال بقايا حصوية وجلمودية ممتدة بينهما. وبالقرب من مقنا تمتد مصطبة حصوية قديمة على مساحة كبيرة بارتفاع ٨م.

أحد الشّعاب المرجانية على ساحل البحر الأحمر

وإلى الشمال من شرم المَجْوَة مدرجات بحرية تشكلت في كتلة من الشعاب المرجانية القديمة، ومن الصعب فصل الشعاب الحديثة عنها. ويظهر إلى الجنوب من محطة رأس الشيخ حميد عدد من المدرجات البحرية تتباين مستوياتها. أما بالنسبة للساحل بين رأس الشيخ حميد والمويلح، فإنه يمثل النهاية الشمالية الشرقية للبحر الأحمر ويتخذ شكل خليج واسع، ويقع خليج الشَّرْمَة الصغير في وسطه. ويمتد القسم الأول منه بين رأس الشيخ حميد وخليج الشرمة، بينما يمتد القسم الثاني بين الخليج الأخير وقرية المُوِيلحْ. ويتميز القسم الأول بالانتشار الواسع للرواسب الثلاثية-الرباعية، والرواسب الرباعية التي شكّلها وادي عِفَال. وهي تحيط به في مثلث متساوي الأضلاع، يزيد طول ضلعه على ٣٥كم تشكل قاعدته خط الساحل. وقد أطلق على الرواسب الثلاثية-الرباعية هنا اسم تكوين لسان.

أما القسم الثاني لهذا الساحل، بين خليج الشرمة وقرية المويلح فيضيق فيه اتساع السهل الساحلي ويتراوح بين ٥-١٠كم، وفيه الرواسب الثلاثية والرباعية

من غطاءات الحصى والمدرجات ورواسب المراوح الغرينية. وتتكون الرواسب البلايستوسينية من حجر جيري مرجاني على شكل عتبات نحت مرفوعة لعدة أمتار فوق مستوى سطح البحر. وهي تلك المصطبات التي تمتد أمام خط الساحل وخاصة في الرؤوس، وقد نجمت عن نحت الأمواج. وتغطيها غالباً مياه ضحلة، ويختلف اتساعها بين ساحل وآخر. كما تشكل هذه الصخور العديد من الجزر المنتشرة أمام خط الساحل، كما في جزر أم قُصُور وبَرْقان وسلْ، ولا يزيد ارتفاع أعلاها على ١٠م. ومما تجدر الإشارة إليه أن ظهور المدرجات البحرية وغطاءات الحصى تزيد باطراد مع الاتجاه جنوباً من مدينة ضبا. ويشير القطاع العرضي لهذه المدرجات (٤كم جنوب ضبا) إلى وجود خمسة مستويات، أحدها تحت مستوى سطح البحر وأعلاها يرتفع إلى مستوى ٥٥م فوق سطح البحر، وتشير الخصائص التشكلية للمنطقة الساحلية في مدينة الوجه إلى أن هذه المدينة قد بنيت على مدرجات بحرية. كما توجد هذه المدرجات غرب المطار إلى الجنوب من الشرم. وتتعاقب هذه المدرجات حسب القطاع العرضي لها في ستة مستويات، أدناها تحت مستوى سطح البحر وأعلاها عند منسوب ٣٥م فوق سطح البحر. وقد تشكلت جميع المدرجات، باستثناء المدرج العلوي، من الشعاب المرجانية البلايستوسينية. أما المدرج ٣٥م فقد تشكل في شعاب مرجانية بلايوسينية-بلايستوسينية.

والشعاب المرجانية صخور كلسية أفرزها حيوان المرجان الذي يعيش عادة في مياه ضحلة مالحة. ومنها الشعاب العميقة التي تبرز إلى السطح من أعماق بعيدة في البحر وتمثل غالباً مراحل متعددة للنمو المرجاني.

تستمر المدرجات البحرية في الظهور إلى الجنوب من أم لج، وتتشكل جميعها في هذه المنطقة من صخور الحجر الجيري المرجاني البلايستوسيني. وتظهر هذه المدرجات في موقعين أحدهما على الساحل الشرقي لجزيرة الحَسَّاني إلى الغرب من أم لج بحوالي ١٨كم في سبعة مستويات أدناها تحت سطح البحر وأعلاها عند منسوب ٥٥م فوق سطح البحر. أما الموقع الثاني فهو السفح الغربي لجبل جَرَّة الساحلي إلى الجنوب من أم لج بحوالي ٣٠كم، حيث تظهر المدرجات البحرية على

ثمانية مستويات، أدناها تحت مستوى سطح البحر وأعلاها عند منسوب ٥٠م. وتتوزع حول مدينة ينبع مجموعة من مدرجات الحصى الثلاثي-الرباعي، ومدرجات الحجر الجيري المرجاني البلايستوسيني. وتتلاشى أشكال المدرجات البحرية إلى الجنوب من ينبع، وتصبح بقعاً متناثرة لا تشكل مدرجات نموذجية كما هو الحال في الأقسام الأخرى. وعلى الرغم من اتساع السهل الساحلي في معظم هذا القسم من الساحل فإن المدرجات البحرية الشعابية لا توجد إلا في أشرطة ضيقة.

أما المدرجات النهرية فهي تتوزع في عدد من أودية هذا القسم من ساحل البحر الأحمر في مدرجات منفردة، ونادراً ما تكون متتابعة. إلا أنها تزداد وضوحاً في بعض الأودية الجنوبية، خاصة في كل من وادي ضمد ووادي جازان، في ثلاثة مدرجات نهرية تشكل ثلاثة مستويات رئيسية، إضافة إلى مدرج علوي يمثل مستوى السطح العام للمنطقة المحيطة بهما.

المصاطب البحرية والشواطئ المرتفعة. تكثر على امتداد الساحل الغربي للخليج العربي. وفي شواطىء المملكة الحصى والرمل الساحلي على مصاطب بحرية وشواطىء مرتفعة من شمال الجُبَيْل (٥١َ ٢٧ْ شمالاً، ٤٠َ ٤٩ْ شرقاً) إلى نهاية الطرف الجنوبي لدوحة سَلْوَى. والشكل الشائع للبلايستوسين البحري هو الرمل ومصاطب التجمع الصدفي الأحفوري coquina التي ترتفع متراً أو مترين فوق متوسط المد العالي. وهذه المصاطب منخفضة غير متواصلة على امتداد الخط الساحلي حتى مسافة قصيرة إلى الداخل. وعلى امتداد دَوْحة سَلْوَى حفريات بحرية محفوظة جيداً، معظمها لأنواع معاصرة. وهي موجودة في حجر رملي ناعم وحصوي، وفي تجمع صدفي أحفوري. ويبلغ أقصى سمك لهذه الوحدة المحتوية على حفريات ثلاثة أمتار تقريباً. وفي سبخة سَوْدَا نَثِيْل أيضاً حفريات بحرية تحت متوسط المد العالي بثلاثة أمتار.

وإلى الغرب من خليج سَلْوَى ترتفع بعض الجروف إلى حوالي ١٣٠م، ومنها: جبال العُقَيْر، وخشم أم حُوَيِّض، وخشم الزَّيْنَة، وجال بُعَيْج. وليس هناك ما يماثل هذه الجروف في شمال السهل الساحلي للخليج. وقد نحتت هذه المرتفعات

وقطعت بالتعرية البحرية أثناء تقدم البحر. وقد درست بعض المصاطب في خشم أم حُوَيِّض الذي يبعد ٨٠كم شمال سَلْوَى والمنطقة المحاذية لسَلْوَى من الغرب. وعلى الرغم من بعد المسافة بينهما وجد بينهما تطابق في قطاعات المصاطب المختلفة.

السِّبَاخ

يطلق لفظ السبخة على المنخفضات المسطحة، التي تكون في العادة قريبة من مستوى الماء الباطني، مغطاة بقشرة ملحية تتوقف سماكتها على موقع السبخة ومعدل التبخر. وكلام العرب عن السباخ قليل بالنسبة للمساحات الواسعة التي تغطيها بالقرب من الشواطئ العربية والمنخفضات الكبرى، كالأزرق وقراقر، والمنخفض الذي تقع فيه مدينة خيبر حيث تنتشر المستنقعات الملحية. ويُعَرِّف العرب السَّبخة كما ورد في لسان العرب لابن منظور أنها الأرض ذات المِلح والنَّز، والنَّزُّ هو ما تحلَّبَ من الأرض من الماء، وقد نَزَّت الأرض إذا صارت ذات نَز. والسَّبخة الأرض المالحة، والسَّبخ المكان يَسْبَخ فَيُنْبِت الملْح وتَسُوخ فيه الأقدام، وقد سَبِخ سَبَخاً، وأرض سَبِخة: ذات سِبَاخ وهو جمع سَبَخة، وهي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت إلا بعض الشجر. والسبخة النَّشَّاشة التي لا يَجِف ثراها ولا يُنْبِت مرعاها، ومن حديث الأحنف: نزلنا سَبخة نَشَّاشَة، يعني البصرة أي نَزَّازة بالماء، لأن السَّبخة يَنِز ماؤها فينشُّ ويعود ملحا.

وتتوزع السِّباخ على طول سواحل شبه الجزيرة العربية، وبصفة خاصة في شرقي الجزيرة بالقرب من السواحل الغربية والجنوبية للخليج العربي. وتشاهد هذه الظاهرة على طول الطريق

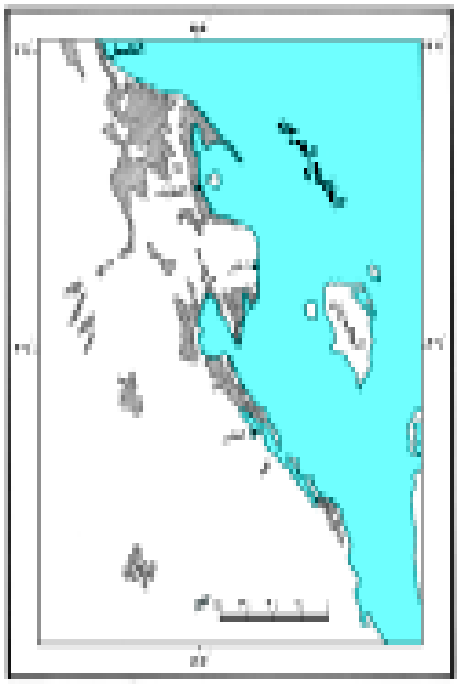

توزيع السّباخ في المنطقة الشرقية

الساحلي بين القطيف والجبيل، ولا يقطع مجال النظر في الامتداد المسطح لهذه الظاهرة سوى بعض التلال الرملية التي تحدها من جهة الغرب، مشيرة إلى أن هذه السباخ ليست سوى خلجان ضحلة كانت تغمر هذه الأرض خلال عصر الهولوسين القصير الأوسط، وربما تنغمر، في الوقت الحاضر، الأجزاء القريبة من البحر من تلك السباخ خلال فترات المد الربيعي. وقد أشار ياقوت إلى إحدى هذه السباخ لَعْبَاء فذكر أنها اسم لسبخة معروفة بناحية البحرين بحذاء القطيف على سيف البحر، وفيها حجارة مُلْس، سميت بذلك لأنها لعب فيها كل واد أي سال.

كما تنتشر هذه السباخ في أجزاء متفرقة من سهل تهامة، ويمكن مشاهدة ذلك بوضوح على طول الطريق بين ينبع وجدة، خاصة بالقرب من بلدة رابغ حيث تصبح أكثر انتشاراً ابتداء من جنوب مدينة ينبع شمالاً حتى مدينة الليث جنوباً.

أما السباخ الداخلية فلم يشر إليها العرب، وهي تتوزع في مناطق الدرع العربي والربع الخالي حيث تتكون،

سبخة غُويمض بوادي الرّمة

حسبما تسمح الظروف الطبيعية بذلك، في المنخفضات والقيعان. وأوضح مثال لها في قاع بقعا، وبالقرب من الأزرق، وفي بطون الأودية الكبيرة، كوادي الرمة ووادي الدواسر (عقيق بني عقيل). ومن أشهر السباخ في نجد سبخة القصب، وهي سبخة منخفضة تتجمع بها سيول المنطقة، وتنتج معدن الملح الذي يغذي منطقة نجد وغيرها بملح الطعام. ويقتسم رقعتها أهل القصب، فكل من يشتغل بتعدين الملح معروفة منطقته. ويقرب طولها من ١٢كم في عرض ٦كم. وصفة تعدينها أن يحفر كلٌ في رقعته الخاصة به حفرة لا يتجاوز عمقها أربعة أمتار، وإذا جم الماء بها تركها نحواً من عشرة أيام فحينئذ يكون ماؤها قد تجمد تلقائياً وأصبح ملحاً نظيفاً فيحوزه ويجم الماء بعد ذلك على نحو ما تقدم وهكذا (ابن خميس ١٤٠٠، ج٢: ٢٨٩). وإلى ذلك يشير الشاعر الشعبي حميدان الشويعر:

أنا من قوم تجرتهم
ارطى الضاحي ودوا الغيره

ودواء الغيره هو الملح الذي يوصف لمن به غيرة، أي تخمة.

سبخة القصب

سبخة الشّيبة بالربع الخالي

والسبخة إما أن تكون خالية من النبات تماما، كالسباخ الساحلية التي تغمر بعض أجزائها مياه المد، وهي التي سبق تسميتها بالنَّشاشة، وهي السبخة الحقيقية. أي التي لا تتغذى بالجداول أو المجاري المائية. وإما أن تنمو فيها بعض أنواع النباتات النامية في المياه المالحة، وهي تلك السباخ التي أشرنا إليها داخل الجزيرة وبالقرب من القيعان وبطون الأودية الكبرى، حيث تتعرض لغمر فصلي من مياه الأمطار، وتسمح درجة الملوحة فيها لبعض أنواع النباتات بالنمو، خاصة تلك التي يسميها العرب الحموض، كالهَرْم والسُّواد والضُّمران وغيرها.

سباخ البحر الأحمر. تتوزع السباخ على طول ساحل البحر الأحمر من الشمال إلى الجنوب، إلا أنها تتباين في انتشارها نتيجة لعدد من العوامل التي ساعدت أو قللت من هذا الانتشار. وبطبيعة الحال لا تسمح الخرائط الصغيرة المقياس بتوقيع السباخ المحدودة المساحة، ولذا فإن عدداً كبيراً من السباخ الصغيرة لا تظهر على هذه الخرائط. وتحتاج عمليات الحصر الفعلية إلى خرائط بمقياس كبير لا يقل عن ١ : ٥٠,٠٠٠، ومثل

هذه الخرائط غير موجودة أو على الأقل ليست بمتناول اليد. وباستخدام خرائط ١ : ٥٠٠,٠٠٠ فإن أقصى امتداد للسباخ شمالاً يظهر عند شرم ينبع عند دائرة العرض ٢٤ ْ٥َ١ شمالا. وأقصى امتداد للسباخ جنوباً هو جنوب الليث عند دائرة العرض ٢٠ ْ. ولا يزيد عدد السباخ فيها على ٣٠ سبخة. أما مع استخدام خرائط ١ : ٢٥٠,٠٠٠ فيظهر انتشار السباخ شمالاً حتى رأس الشيخ حميد عند دائرة العرض ٢٨ ْ٧َ شمالاً، وحتى جنوب جازان قرب الحدود السعودية اليمنية. ويصل عدد السباخ فيها إلى حوالي ١١٨ سبخة. ومن المرجح ازدياد أعداد السباخ إلى أكثر من ضعفي هذا الرقم بكثير باستخدام خرائط كبيرة المقياس سواء أكانت ١ : ٥٠,٠٠٠ أم ١ : ١٠٠,٠٠٠. وعلى سبيل المثال فإن الغالبية العظمى من سباخ الشروم لم تظهر على الخرائط باستثناء شروم ينبع ورَابِغْ وأَبْحُر حيث سمح امتدادها بظهورها. وبوجه عام فإن معظم السباخ التي يقل امتدادها عن ٥٠٠م لم تحتسب ضمن أعداد السباخ السالف ذكرها.

ويختلف توزع السباخ من الشمال إلى الجنوب. فمن رأس الشيخ حميد شمالاً وحتى ينبع جنوباً لا يزيد عدد السباخ على ٢٣ سبخة. بمساحة كلية مقدارها ٧٧,١ كم٢. بينما يزيد عددها بشكل واضح في المنطقة الممتدة من جنوب ينبع إلى جنوب الليث ليصل إلى ٥٥ سبخة، بمساحة كلية تصل إلى ٣٩٢,٧ كم٢. وتعود أعداد السباخ للتناقص مرة أخرى من جنوب الليث حتى الحدود اليمنية حيث تكاد تغيب من بعض المناطق وتزيد في أخرى. ولا يزيد المجموع الكلي لمساحة السباخ في هذا القسم من الساحل عن ٣٤٧,٨ كم٢.

ويعكس التوزع الحالي للسباخ على طول الساحل الشرقي للبحر الأحمر تشكل السهل الساحلي، حيث تقل أعداد السباخ ومساحتها في المناطق التي تقترب فيها الجبال من الساحل، كما هو الحال في ساحل حقل (خليج العقبة)، وساحل جبل البُوَانَهْ جنوب أم لج، وساحل وادي حَلِي، وجبل حَائِل حيث تتلاطم أمواج البحر بالحرات والبراكين. بينما تتزايد أعداد السِّباخ في السهل الساحلي الذي تكثر فيه الأطر والشعاب المرجانية، كما في البدع ومكة المكرمة ووادي حلي، وهي شعاب مرجانية نمت قرب الساحل على هيئة إطار. كما تتزايد أعداد السباخ ومساحاتها أيضاً في السهل الساحلي المنخفض الذي تعلوه مياه المد، وتكثر

فيه البحيرات الساحلية والرمال الشاطئية. كما في ساحل الليث ورَابِغْ والحَمْرا ووادي بِيشْ.

سباخ الخليج العربي. على طول السهل الساحلي سباخ عديدة يغطيها الطمي والغرين والرمل، ومن فوقها في كثير من الأحيان طبقة ملحية. وتمثل السبخة سطح توازن يتحكم في منسوبها مستوى الماء الباطني المحلي. وتتكون السباخ الساحلية نتيجة لتسرب مياه البحر إلى المناطق الداخلية التي تصلها مياه المد البحري، وتنشأ بفعل إرسابات بحرية تختلط مع بعض الرواسب الرملية المجلوبة بواسطة الرياح.

وهناك نوعان من السباخ في السهل الساحلي للخليج العربي، هما: السباخ الرملية والسباخ الطينية. وتتشكل السباخ الرملية نتيجة لامتلاء الخلجان بالرمال الريحية، ثم إعادة تشكيل هذه الرواسب الرملية وغربلتها وإعادة توزيعها عن طريق الأمواج والتيارات البحرية. ويمكن مشاهدة هذه العملية جنوب مدينة الظَّهران في دَوْحة ظَلُوم، خاصة عند هبوب الرياح. ولمعظم السباخ على طول الساحل خطوط متقوسة شبه متوازية تظهر حدود نمو السباخ السالفة، مما يساعد في تحديد خط الساحل خلال تقدم البحر وانحساره. وتتميز السباخ الرملية باستواء سطحها

سبخة بجزيرة فرسان

الشديد حتى إن معدل انحدار سطحها تجاه البحر لا يتجاوز ٥,٠م/كم. وخلال فترات الجفاف يتبخر الماء الشعري من الرمل، ويتجمع قرب السطح مكوناً ماءً شديد الملوحة، يتبخر مخلفاً ملحاً مترسباً قرب السطح. وبعد نزول المطر يبقى الماء فوق السطح لتشبع السبخة ولمستويات المد العالية، ولكن مستوى الماء الباطني ينخفض خلال أوقات الجفاف ما بين ٣٠ إلى ١٠٠سم تحت السطح. ويعمل الماء الملحي الذي يصعد شعرياً من خلال الفراغات بين حبات الرمل على تغليف حبيباتها بأغشية مائية ملحية مما يجعلها قابلة للانزلاق، وتتطور إلى سطح ضعيف التحمل يشبه ما يعرف بالوعث أو الرمال الرخوة التي يغوص فيها الحيوان والإنسان. وعند تبخر هذا الماء من سطح السبخة الرملية تتشكل بلورات من الملح تغلف سطح السبخة، وأحياناً يتشكل سطح ملحي شديد الصلابة. وإن حدث وغطت الرمال هذا السطح الملحي فإنه سيبقى محفوظاً ما لم يرتفع مستوى الماء الباطني ويساعد على تحلله.

أما السباخ الطينية فتتكون عن طريق تشكل طين جيري من إفرازات كائنات طحلبية ونحوها في المياه الضحلة بالخلجان. ويمكن مشاهدة هذه العملية في خليج تَارُوت، وفي السباخ الساحلية قرب الخَرَسَانِيَّة أمام جزيرة أبو عَلِي. والوحل الموجود في هذه السباخ رطب لزج المزاج، دقيق القوام، ليست له قوة تَحَمُّلٍ تذكر ولذا ينساب تحت الضغط. ويصطاد هذا الوحل الرمل الذي تحمله الرياح فيتكون عليه غطاء من الرمل نادراً ما يتجاوز سمكه متراً واحداً، وقد يتحمل هذا الغطاء الرملي عندما يكون جافاً فوق الوحل سير بعض المركبات الخفيفة. أما عندما يبتل فإنه يصبح مصيدة للمركبات التي تسير فوقه، خاصة الثقيلة منها التي قد لا يرى من إطاراتها شيء بعد غوصها بالسبخة. أما إذا كان سطح السبخة الطينية غير مغطى بالرمال، فإنه يجف خلال فصل الصيف وتتماسك مواده، ويتصلب تحت ضغط السيارات التي ترتاده ويصبح كالزفت. وتنتشر السباخ الطينية بين خليج تَارُوت ورأس مِشْعَاب، وعلى طول ساحل الإمارات العربية المتحدة. وتعد سبخة مَطِّي التي يقع جزء كبير منها في المملكة، سبخة مركبة إذ إنها رملية طينية. وفي المناطق المذكورة هناك سباخ قد يبدو من الوهلة الأولى أنها طينية، ولكن عند الفحص الدقيق يتضح أنها تعلو قشرة صلبة من الملح أو الجبس، ويندر أن تُكوِّن قشرة طينية صلبة.

وتخلو السباخ من الغطاء النباتي، عدا ما يتحمل الملوحة، نظراً لما تحتويه من نسبة ملح عالية. ومن أهم السباخ على طول ساحل الخليج العربي مجموعة سباخ المَقْطَع، التي تقع أمام مدينة الخَفْجِي وتمتد إلى الشمال والجنوب من عند رأس القُلَـيْعَة داخل الحـدود الكويتـية حتى السَّقَّانِيَّة. وهي تتخذ أسماء محلية من الشمال إلى الجنوب، فيُطلق على بعضها طفاف، مثل: طَفَّة المُرَيْر، وطَفَّة العِظَامِي وطَفَّة فُضَيْـح، ثم السباخ الواقعة أمام رأس تَنَاقِيب، ومعظـمها سباخ داخلية مختلـطة بالرمال. وما بين زَوْر سُـلَيْق ومدينة الجُبَيْل تمتد سباخ ساحلية، منها: سبخة أم الظِبَاء وسبخة عَيَّة وسبخة المُرَيْر. وتمتد سبخة الفَـصْل الكبيرة من شمال الجُبَيْل جنوباً لمسافة كبيرة حوالي ٣٠كم، وهي سبخـة مركبة إذ إنها تقـترب من الساحل وتمتد نحو الداخل لمسافة كبيرة. وإلى الجنوب من الجُبَيْل تقع سبخة الصُّمّ وسبخة الرِّيَّاس وهما في الحقيقة سبخة واحدة تمتـدان نحو الداخـل وتتصلان بسبخة الضَّبِّيَّة الداخلية المواجهة للقَطِيْف. وإلى الغرب مـن دَوْحة السَّيْح جنـوب العَزيزية سباخ السَّيْح الساحلية الكبيرة. وفي الحقيقـة فإن هناك امتداداً مستمـراً للسباخ الداخلية، من سبخة الضَّبِّيَّة نحو الجنوب ولو بشكل متقطع حتى جنوب شرق مديـنة الهُفُـوف، ومنها: سبـاخ القُوَيْرَات وأم الشُّرَيْبَات والصَّرَى ورَفَادان وصَرَاة الجُبَيْل وكلها جنوب شرق مدينة بُقَيْق، وسبخة أم حِيْشَة وسبخة مُرَيْقِب في شرق الأحسَاء. وعلى طول الساحل من رأس قُرَيَّة جنوباً سبخة الدَّنَّان التي تمتد حتى العُقَيْر، وسبخة السَّكَك وسبخة المَشَاخِيْل جنوب شرق سَلْوَى.